



الغلو في الدين - المفهوم - الأسباب - الآثار في ضوء الكتاب والسنة

د. إبراهيم بن علي الحسن
قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الغلو في الدين - المفهوم - الأسباب - الآثار: في ضوء الكتاب والسنة

د. إبراهيم بن علي الحسن
قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

كثرت الدراسات والبحوث العلمية حول موضوع الغلو إلا أنه قد قوى من عزمي وشد من أزمي على دراسة هذا الموضوع عدة أمور منها: أن أكثر الدراسات التي اطلعت عليها تركز على جانب التأصيل ووقاية الأمة، وتحسين الشباب، وتحذيرهم من الوقوع في هذا الداء، وقد حرصت أن يكون هذا البحث خطاباً لمن ابتلي به، وعلاجاً لمن سقط في أحواله، ولم أغفل عن جانب الوقاية والتحذير. ومنها تجدد الأهواء، واستمرار الأسباب التي تؤجج مشاعر الشباب، وتسعر نار الغلو، مع ما تواتر من علاقة أعداء أهل السنة بفتن التكفير، وأن هناك من يعمل خلف الأستار لإيجاد الفتنة، وشق الصف في هذه البلاد - أعني بلاد الحرمين - مما يحتم على كل ناصح قادر أن يدلي بدلوه، ويعرض ما يراه مناسباً لدرء الفتنة، وحماية الملة، ونصح الأمة. ومنها أن لدى بعض الغلاة مهارة في الاستدلال على نزعتهم، وتصيد الشبه من متشابه النصوص، وإيهام المتلقي عنهم صحة تطبيق النصوص على الواقع، كما أن هناك صعوبة التعامل مع من ابتلي بهذا الداء، فهو يضيق دائرة من يتلقى العلم عنهم، ويحصرها فيمن يتفق معه في هواه، ثم إن من ابتلي بالغلو لا يتورع من وصم من يخالفه بالكفر أو الخيانة، أو الضعف والجبن، أو حب الدنيا، أو الجهل بالواقع، ونحو ذلك من عيوب تمنعه من قبول الحق، وتحمي توجهه الغالي، والشبهات التي استند إليها في معتقده، وحرصاً على إيصال الحق بدلائله وبراهينه إلى كثير من الذين ابتلوا بهذا الداء، أو اغتروا بشبهاته، وحماية لشباب هذه الأمة من آثاره وأضراره، كتبت حول هذا الموضوع بعنوان: الغلو في الدين في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم - الأسباب - الآثار، وقد جعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴿٢﴾. أما بعد:

فإن الله قد أخذ العهد على الذين أوتوا العلم بأن يبينوا الحق ولا يكتموه وأخبر النبي -صلوات الله عليه وسلم- بأن: "الدين النصيحة" قالها ثلاثاً، ولما سئل لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم" ﴿٤﴾ ولذا يجب على من رزق علماً أن يبذل جهده فيما تبرأ به الذمة، وتنتفع به الأمة، ويتم به النصح.

وقد ابتليت الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل بالغلو والغلاة، ولا يخفى أن الغلومن الموضوعات الخطيرة، التي يتعدى أثرها إلى الدين والدنيا، وإلى الحاضر والمستقبل ولا يقتصر أثره على الشخص نفسه، بل يتعدى ضرره إلى غيره، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن بعض الغلاة: (كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم) ﴿٥﴾.

وقضية الغلومن القضايا المشككة، ومن الفتن المعقدة، ويظهر ذلك فيما يلي:

١. سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

٢. سورة النساء، الآية: ١.

٣. سورة الأحزاب: الآية: ٧١، ٧٠.

٤. رواه مسلم كتاب الإيمان، ج(٥) (٧٤/١) ورواه البخاري معلقاً، كتاب الإيمان (٣٨/١).

٥. منهاج السنة (٢٤٨/٥).

١- أن الغلو في الدين قد يلتبس - عند من لا بصيرة له - بحقائق شرعية وتعاليم إسلامية ربانية، كالزهد والورع، والجهاد في سبيل الله، والغضب لله، والغلظة على أعداء الله، والبراءة من الكفار.

إن التباس الغلو بالحقائق الشرعية نحو التباس السخاء بالإسراف، والاقتصاد بالبخل، والشجاعة بالتهور، والتعقل بالجبن... ونحو ذلك من معاني نفسية، تدمر إذا جاوزت حدها الممدوح شرعاً وعقلاً وعرفاً.

ولهذا يحتاج المسلم إلى علم وبصيرة، وتعقل وأناة، وارتباط بعلماء ربانيين، ذوي علم بحدود الله، وتجربة بمدخل الشيطان، وبصيرة بمضلات الفتنة، وتلبس الأهواء مع اتزان الشخصية، والسلامة من الاضطرابات النفسية، حتى يميز بين الغلو المذموم، والاستقامة المحمودة.

٢- أن بعض الغلاة وأئمة الابتداع يظهر عليهم الخشوع والزهد والتعبد وقوة التحمل، والشجاعة، وهذا يجعل غير البصير يغتر بمظاهرهم، قال الأوزاعي - رحمه الله -: (بلغني أن من ابتدع بدعة خلاه الشيطان والعبادة، وأبقى عليه الخشوع والبكاء لكي يصطاد به)^(١)

٣- أن العمل أو الاعتقاد قد يكون مشروعا، وإنما يتسلل الغلو من جهة تطبيقه أو حمل الناس عليه، أو الحكم على ترك المشروع، أو فعل المحذور، بأحكام لا توافق أحكام الشريعة، كالجزم بأن الجهاد فرض عين في حادثة عين، ثم تضليل من تركه، والحكم على كل من ظهر منه موالة كفار، أو حكم بغير ما أنزل الله، بالكفر الأكبر دون اعتبار لتفصيل أهل السنة، أو مراعاة لموانع التكفير، من جهل أو إكرام أو خطأ أو تأويل، ودون اعتداد باتفاق أهل السنة والجماعة على أنه لا تلازم بين فعل أو قول الكفر، وبين كفر المعين^(٢).

٤- أن بعض الغلاة ذوو نيات حسنة، ومقاصد نبيلة، ودافعهم نحو الغلو هو الغيرة على الدين، والغضب لله، وهذا يمكن لهم في قلوب العامة، ويعزز موقفهم عند الشباب

١. الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٤٩).

٢. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٧٨/٢).

ولاسيما من يرون أن السير على مناهج الأنبياء في التغيير، ومراعاة سنن الله الشرعية وعدم مصادمة سننه الكونية - بطيء النتائج، قليل الثمرة.

٥ - أن لدى بعض الغلاة مهارة في الاستدلال على نزعتهم، وتصيد الشبه من متشابه النصوص، وإيهام المتلقي عنهم صحة تطبيق النصوص على الواقع، وخاصة ما يتعلق بجعل الأدلة النازلة في الكافرين تنطبق على أهل القبلة، ممن يخالفهم في أهوائهم، أو كان عنده خطأ أو تأول، وما أخرى المسلم اليوم أن يتأمل في فقه الصحابة - رضي الله عنهم - إذ لم يرغبوا بتزهد الخوارج، واجتهداهم في الطاعة، ف في صحيح البخاري: (وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)^(١)

٦ - صعوبة التعامل مع من ابتلي بهذا الداء، فهو يضيق دائرة من يتلقى العلم عنهم، ويحصرها فيمن يتفق معه في هواه، كما هو شأن غلاة أهل الكتاب المذكورين في قول الله تعالى خبراً عنهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾^(٢) وقد صرح عن أوائل غلاة هذه الأمة أنهم قالوا لما جاءهم ابن عباس - رضي الله عنهما - مجادلهم: (لا تحدثوه)^(٣).

ثم إن من ابتلي بالغلو لا يتورع من وصم من يخالفه بالكفر أو الخيانة، أو الضعف والجبن، أو حب الدنيا، أو الجهل بالواقع، ونحو ذلك من عيوب تمنعه من قبول الحق، وتحمي توجهه الغالي، والشبهات التي استند إليها في معتقده. وحرصا على إيصال الحق بدلائله وبراهينه إلى كثير من الذين ابتلوا بهذا الداء، أو اغتروا بشبهاته، وحماية لشباب هذه الأمة من آثاره وأضراره، كتبت حول هذا الموضوع بعنوان: الغلو في الدين في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم - الأسباب - الآثار. وقد جعلته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وهي ما بين أيدينا.

١. صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتال الخوارج (١٣) (٢٩/٩).

٢. سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

٣. رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨٦٧٨) (١٥٨/١٠) والطبراني في المعجم الكبير (٢٥٧/١٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤٥٠) (٣٥٩/٦): رجاله رجال الصحيح.

المبحث الأول: مفهوم الغلو.

المبحث الثاني: أسباب الغلو.

المبحث الثالث: آثار الغلو.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

أما العلاج فقد جعلته في بحث مستقل ؛ حتى لا يتضخم البحث فيستثقله الشباب؛ ولأن العلاج هو الثمرة المقصودة، ويحسن أن يطلع عليه من لا جلد عنده على القراءة ولا يخفى على مطلع على الساحة الثقافية والعلمية كثرة الدراسات حول هذا الموضوع، وتعدد المشارب في طرقه، وقد قوى عزمي على دراسة هذا الموضوع بما يأتي:

١- أن أكثر الدراسات التي اطلعت عليها تركّز على جانب التأصيل ووقاية الأمة، وتحصين الشباب، وتحذيرهم من الوقوع في هذا الداء، وقد حرصت أن يكون هذا البحث خطاباً لمن ابتلي به، وعلاجاً لمن سقط في أحواله، ولم أغفل عن جانب الوقاية والتحذير.

٢- تجدد الأهواء، واستمرار الأسباب التي توجب مشاعر الشباب، وتسعر نار الغلو مع ما تواتر من علاقة أعداء أهل السنة بفتن التكفير، وأن هناك من يعمل خلف الأستار لإيجاد الفتنة، وشق الصف في هذه البلاد - أعني بلاد الحرمين - مما يحتم على كل ناصح قادر أن يدلي بدلوه، ويعرض ما يراه مناسباً لدرء الفتنة، وحماية الملة، ونصح الأمة.

٣- ارتباطي العميق بالشباب بحكم عملي عضوية تدريس منذ بدايات الغلوفي بلادنا، وإمام جامع منذ ما يزيد على عشرين عاماً، ومشرفاً على المكتب التعاوني للدعوة بشرق الرياض، وقد كلفني المكتب بمتابعة حالة الغلو والتكفير في الأحياء المسؤول عنها، والالتقاء بمن يتهم بذلك من الشباب، وإعداد استراحة لجذبهم، وكل ذلك هائلي تصوراً لكثير مما يدور في أذهان الشباب، ويقود إلى الغلو.

٤- حاجة الشباب إلى كتيب متوسط الحجم، سلس الأسلوب، سهل العبارة، يخاطب القلوب والعقول معاً، وقد حرصت على تحقيق ذلك، وأرجو أن أكون حققت ما رمت، ووصلت إلى ما قصدت.

ونظراً لحساسية الموضوع، وطبيعة المستهدف، فقد حرصت على ذكر أقوال السابقين، وركزت على أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وأئمة الدعوة

السلفية - رحمهم الله - لاعتقادي بأنهم تلقوا نصوص الوحيين بقبول حسن وسلموا من الهوى في تفسيرها، ولثقة شباب الأمة بهم، وتلقي أقوالهم بالقبول.

منهجي في البحث:

يمكن تلخيص المنهج الذي سرت عليه بأنه استقرائي وصفي، وفق النقاط التالية:

١- حرصت أن يكون البحث معتمداً على ما ورد في الكتاب والسنة وأقوال سلف

الأمة، متفقاً مع معتقد أهل السنة، ومنهجهم في الوسطية.

٢- اعتمدت على الأحاديث الصحيحة والحسنة وإذا ذكرت حديثاً مخالفاً في ضعفه فإني أبين

علته وقد خربت الأحاديث مقتصراً على ما يحقق المقصود وهو بيان درجة الحديث، فإن

كان في الصحيحين أو في أحدهما اقتضرت على ذلك، وإذا ذكرت بعض من خرجه

مفضلاً من نص على صحته

٣- التزمت ترقيم الآيات، وعزوها إلى سورها.

٤- اعتمدت في مجمل البحث على مصادر أصيلة، وأمّهات كتب معتبرة عند

العلماء، ويستثنى من ذلك مواضع يسيرة، في قضايا معاصرة، فبعض مؤلفيها

مجاهيل بالنسبة لي، لكن فيما لا علاقة له بأمور الشريعة، ومواطن الاعتقاد.

٥- حرصت على الاختصار في مجمل البحث، وقد أطنب في بعض المباحث،

لاعتقادي أن الحاجة تقتضي ذلك؛ وأن تمام البيان يستلزم الاستطراد

والتفصيل.

٦- حرصت أن يكون هذا البحث مرتبطاً بالواقع، وعلاجاً لقضايا معاصرة، وخطاباً

للكافة القراء وليس للنخبة المثقفة وأسأل الله أن أكون حققت بعض ما حرصت

عليه، وبعد:

فقد اجتهدت في إخراج هذا البحث، المرتبط بكتاب الله، مع ما يكتنف ذلك من

خرج، ووجوب تحرر للصواب؛ حتى لا يقال على الله بغير علم، ثم هو مرتبط بحياة الناس

ودينهم وعقائدهم، مع ما في ذلك من حساسية، وما عسى أن يكون له من أثر إيجابي

أو سلبي.

وحسبي أني بذلت جهدي، نصحاً لكتاب ربي، وبراً بأبناء ملّتي، فإن كنت وفّقت فمن

الله، وله الحمد، وإلا فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله.

هذا، والله المسؤول أن يجعل هذا البحث مفتاح خير، مغلاق شر، خالصا لوجهه
الكريم، وأن ينفع به في الدنيا والآخرة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه.

* * *

المبحث الأول

مفهوم الغلو

الألفاظ أوعية المعاني، وحاملة المفاهيم، التي يسعى المتكلم إلى إيصالها إلى غيره؛ ولذا لا بد من الاتفاق على دلالة اللفظ، حتى يكون همزة الوصل بين المتكلم والمخاطب وإلا وقع خلاف أو اضطراب أو سوء فهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة، ومعاني مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق اللفظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره، فضلا عن أن يعرف دليله»^(١) وتظهر أهمية تحرير الألفاظ، وبيان مراد الشارع بها إذا علم أن دلالة اللفظ تتغير عند فئات من الناس، لأسباب معلومة عند المعنيين بشيء اللغات وتطورها، ومن أبرز تلك الأسباب التباس الحقيقة الشرعية بالحقيقة الاصطلاحية أو العرفية^(٢)، فكثير من الناس ينشأ على اصطلاح محدث عرفا، أو عن طريق تواطؤ أهل فن عليه، ثم يجد تلك الألفاظ في نصوص الشرع، أو في كلام علمائه، فيعتقد أن المراد واحد، مع أن مراد الشارع خلاف ذلك^(٣).

وقد عانت الأمة الإسلامية قديما وحديثا من جراء تشابه المعاني، وإجمال المصطلحات، وعدم تحريرها عند البعض، وجهل كثير من الناس بمراد الشارع بها، فيستغل ذلك أصحاب الشبهات وأعداء الحق، ويروجون لباطلهم، ويجوسون خلال العقول والأفئدة، ويعيثون فيها فسادا، ويسعون لتحقيق مآربهم من ناحيتين:

١- استعمال الألفاظ الشرعية في غير مراد الشارع، إذ تُفرَّغ من معانيها الشرعية وتلبس معاني أخرى يقصدها المبطل، ثم يقاد المعظم للنصوص بالدليل الشرعي إلى الباطل.

ومن أبرز الأمثلة لذلك تسمية المعتزلة نفي الصفات توحيدا، ونفي القدر عدلا، وتسمية المتصوفة أذواقهم ومواجيدهم حقيقة وعلماء لدنيا، ورقصهم وطربهم تعبدا

١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٤/١٢).

٢. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٥/٧) والمنخل الفقهي العلم (٨٧٨/٢) وقواعد

٣. الترجيح عند المفسرين (٣٧/٢).

٤. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥٥/١٣).

وذكرا، وهكذا سائر المبطلين، يلبسون باطلهم لبوسا شرعيا يخدعون به من يحسن الظن بهم.

٢- لمز المخالف لهم، المستمسك بالحق، بأوصاف سوء يكرهاها الشارع، كإعلاء أن إثبات الصفات تشبيه وإثبات القدر جبر، وعدم الغلو في آل البيت نصب، والاستمساك بنصوص الكتاب والسنة وسائر الأدلة الشرعية حشو... الخ.

وبمثل هذا وذاك خدع من لا بصيرة له، وجر إلى الباطل من حيث لا يدري. وعلى ضوء ما سبق تتبين أهمية الوقوف على معنى الغلو في الكتاب والسنة وتحرير المراد بهذا اللفظ؛ لئلا يدخل فيه ما ليس منه، فيحارب الحق لإلباسه لبوس الباطل، أو يخرج منه ما هو من صميمه، فيرتكب الباطل، وتنتهك الحرمات باسم الغيرة لله، والغضب لشرعه، والانتصار لدينه.

ومن فضل الله على المسلمين أن جعل لهم مرجعا عند الاختلاف، ومفزعا عند تشابه الأمور، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)؛ فعلق الإيمان بالله واليوم الآخر على الرد إلى الله ورسوله، عند الاختلاف والتنازع، وبين أن ذلك هو الخير في الحاضر، والأحسن في المآل، وقد بين العلماء أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته هو الرجوع إلى سنته؛ وبناء على ما سبق فإن الكتاب والسنة هما المرجعان اللذان يعول عليهما، لبيان حقيقة الغلو، والمراد به، لا على ما تهواه الأنفس، أو تقتضيه العقول، أو تمليه المؤثرات الخارجية، أو ردود الأفعال لظلم أنظمة، أو تسلط عدو، أو ما يتوهم أنه مخالف لوسطية الإسلام للجهل بحقيقتها.

وحرصا على وضوح حقيقة الغلو، وعدم التباسه على شباب الأمة، أو إلباسه لبوس الحق ممن في قلبه هوى أو مرض، أو ابتلي بإفراط أو ردة فعل، أو استغلاله في رد الحق

١. سورة النساء، الآية ٥٩.

٢. انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٠٤) والبعوي (٢٤٢/٢) والموافقات للشاطبي (١١/٤) وإعلام الموقعين (٤٧/٨).

والصد عن دين الله، تحت ستار محاربة الغلو، وحماية الأمة من أخطاره - من أجل هذا وذاك رأيت أن يكون مسار هذا المبحث وفق الفقرات التالية:

أولا - معنى الغلو في اللغة.

ثانيا - معنى الغلو في الشرع.

ثالثا - نظائر الغلو.

رابعا - الألفاظ المضادة للغلو.

خامسا - ما يلتبس بالغلو.

أولا - معنى الغلو في اللغة:

لا شك أن اللغة مصدر رئيس من مصادر معرفة مراد الشارع بالألفاظ، وإن كانت اللغة لا تستقل بذلك، إذ إن الشارع قد يخص اللفظة، أو يضيف إليها شرائطاً أو أوصافاً كالإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج، ونحو ذلك من المسميات الشرعية ذات المدلول الجديد الذي لا تعرف اللغة تفاصيله وأبعاده، وشرائطه وأوصافه^(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (تنازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسمائها في اللغة؟ أو إنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة، لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء؟... والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة)^(٢) وبهذا يتبين أن الشرع لم يقطع الصلة بين المعنيين، بل أبقى روابط بين الاسم الشرعي والاسم اللغوي، مما يعطي أهمية لمعرفة المعنى اللغوي، قال شيخ الإسلام: (... فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مأمعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني)^(٣). وقال الإمام الشاطبي: (فمن أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة)^(٤).

١. انظر: الصاحبي، ص ٧٨.

٢. الإيمان ص: ٢٨٣.

٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٦/٧).

٤. الموافقات (٥٠/٢).

إن مادة " الغلو " بمختلف اشتقاقاتها واستعمالاتها تدل في اللغة على مجاوزة ومبالغة، وتعد للحد والمقدار، قال ابن فارس: (الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر، يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً وذلك ارتفاعه وغلا الرجل في الأمر غُلُوًّا، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غُلُوًّا، إذا رمى به سهماً أقصى غلته)^(١)، وفي تهذيب اللغة: (غلا السعر غلاء، ممدود، وغلا في الدين يغلو غُلُوًّا، إذا جاوز الحد... والمغالي بالسهم: الرافع يده يريد به أقصى الغاية... ويقال للشيء إذا ارتفع وزاد: قد غلا)^(٢).

وقد ذكر ابن منظور عددا من استعمالات مادة " غلا " ثم قال: (وكله من الارتفاع والتجاوز... وإنما اشتق من الغلو الذي هو التجاوز لقدر ما يجب، وهو عندهم أفحش من التعدي)^(٣).

ثانيا - معنى الغلو في الشرع:

أ - معنى الغلو في القرآن:

ورد لفظ " الغلو " في موضعين من كتاب الله، أولهما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٤)، والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٥)، والجدير بالتنبيه أن في الآيتين تحذيرا من الغلو، وتنفييرا من مسالك الغلاة من عدة وجوه منها:

- ١- أن الغلو قول على الله بغير حق، مهما حسنت نية صاحبه وبطل قصده ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.
- ٢- أن الغلو في الدين باطل مجانف للحق: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾.
- ٣- أن الغلو في الدين اتباع للهوى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾.

١. معجم مقاييس اللغة (غلو) (٢٨٧/٤)

٢. تهذيب اللغة (غلا) (١٩٠/٨ - ١٩٣)

٣. لسان العرب (١٣٢/١٥ - ١٣٣)

٤. سورة النساء، الآية ١٧١.

٥. سورة المائدة، الآية ٧٧.

٤ - أن هناك فئة ضالة تدعو إلى الغلو، وتزينه، وتلبيسه لبوس الحق: ﴿قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾.

٥ - أن من جاراهم ضل في نفسه، وأضل غيره: ﴿ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾. وبعد بيان شناعة الغلو في القرآن الكريم، يحسن ذكر عبارات المفسرين على اختلاف طبقاتهم وعصورهم، في معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ حتى يتبين مراد الله بذلك، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (جمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدا، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين)^(١). فمن أقوال المفسرين:

١ - قال عبد الرحمن بن زيد: (الغلو: فراق الحق، وكان مما غلوا فيه أن دعوا لله صاحبة وولدا)^(٢).

٢ - وقال قتادة: ("لا تغلوا في دينكم": لا تبتدعوا)^(٣).

٣ - وقال أبو عبيدة: ("لا تغلوا في دينكم": من الغلو والاعتداء: كل شيء زاد حتى يجاوز الحد)^(٤).

٤ - وقال ابن جرير الطبري: ("لا تغلوا في دينكم" يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفترطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق ... وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حده، يقال منه في الدين: قد غلا يغلو غُلُوًّا)^(٥).

٦ - وقال الراغب الأصفهاني: (الغلو: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر: غلاء وإذا كان في المنزللة والقدر: غُلُوٌّ، وفي السهم: غُلُوٌّ، وأفعالها جميعا غلا يغلو)^(٦).

٧ - وقال ابن عطية: (خاطب تعالى أهل الكتاب من النصارى بأن يدعوا الغلو، وهو تجاوز الحد... وقوله تعالى: "في دينكم" إنما معناه: في الدين الذي أنتم مطالبون به... وليست الإشارة إلى دينهم المضلل، ولا أمروا بالثبوت عليه من دون غلو، وإنما بترك الغلو في دين الله على الإطلاق)^(٧).

١. مقدمة في أصول التفسير: ص ٤٤.

٢. الدر المنثور (٥/٣٩٣).

٣. المصدر السابق، الموضوع نفسه.

٤. مجاز القرآن (١/١٤٣).

٥. تفسير الطبري (٩/٤١٥).

٦. المفردات (غلا) (ص: ٣٦٤).

٧. المحرر الوجيز (٢/١٣٩).

٨ - وقال القرطبي: (قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم" نهى عن الغلو والغلو: التجاوز في الحد... ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلوا النصارى فيه حتى جعلوه ربا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر، ولذلك قال مطرف بن عبد الله^(١): "الحسنة بين سيئتين"^(٢)).

٩ - وقال جمال الدين القاسمي: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: لا تتجاوزوا الحد في تعظيم عيسى وأمه، وترفعوهما عن رتبتهما إلى ما تقولتم عليه ما من العظيمة... والغلو نقيض التقصير، ومعناه: الخروج عن الحد، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط، ودين الله بين الغلو والتقصير^(٣).

١٠ - وقال محمد الطاهر ابن عاشور: (الغلو: تجاوز الحد المألوف، مشتق من غلوة السهم، وهي منتهى اندفاعه، واستعير للزيادة على المطلوب في المعقول أو المشروع في المعتقدات والإدراكات والأفعال، والغلو في الدين: أن يظهر المتدين ما يفوت الحد الذي حدد له الدين، ونهاهم عن الغلو لأنه أصل لكثير من ضلالهم وتكذيبهم للرسول الصادق).

وغلوا أهل الكتاب: تجاوزهم الحد الذي طلبه دينهم منهم، فاليهود طولبوا باتباع التوراة ومحبة رسولهم، فتجاوزوه إلى بغضة الرسل كعيسى ومحمد -عليهما السلام - والنصارى طولبوا باتباع المسيح فتجاوزوا فيه إلى دعوى إلهيته، أو كونه ابن الله، مع الكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم -^(٤).

هذه أقوال بعض المفسرين في مختلف العصور، وتباين المناهج، وهي تدل على اتفاقهم على أن الغلو تجاوز حد الدين، والمبالغة التي تخرج المتدين عن الصراط المستقيم، لكن بعضهم أفاد أن الغلو كما يطلق على الإفراط فهو يطلق على التفريط والتقصير في الدين، وبناء على ذلك: فالغلو عندهم: مجاوزة حد الدين بإفراط أو تفريط وزيادة أو نقصان، وبتنطع أو جفاء.

-
١. هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، تابعي ثقة ذو فضل وأدب وورع، توفي سنة ٩٥ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٥٨/١٠).
 ٢. الجامع لأحكام القرآن (٢٧/٦).
 ٣. محسن التأويل (٢١٠٦/٦).
 ٤. التحرير والتنوير (٥٠/٦).

وبما أن هذا البحث يُعنى بغلو الإفراط والتنطع، وهو ظاهر في النصارى حتى قال القاسمي في الآية الزاجرة عن الغلو: (الأقرب للسباق، الداحض لشبهات النصارى أن تكون هذه الآية فيهم)^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن)^(٢)؛ لذلك يحسن ذكر أوجه الغلو عندهم التي ذكرت في القرآن، وهي ثلاثة:

١- غلو في الاعتقاد، وذلك قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٣)، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾^(٤) وقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٥).

٢- غلو في الطاعة، إذ ادّعوا العصمة لأخبارهم ورهبانهم، فاتبعوهم في كل ما يقولون، وإن كان خطأ وضلالاً، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٦)، وقد جاء في الأثر ما يبين أن هذه الربوبية إنما هي شرك في طاعتهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام^(٧).

٣- غلو في العمل والعبادة، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾^(٨) قال الراغب: (الرهبانية: غلو في تحمل التعبد من فرط الرهبة)^(٩) وقال ابن الجوزي: (هي غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب، والملبس والنكاح، والتعبد في الجبال)^(١٠).

وعلى المسلم الحذر من الوقوع في شرك التشبه بهم، وليعلم أنه ما من نقيصة وقع فيها أهل الكتاب إلا ويوجد من أمة محمد من سيقع فيها؛ بدلالة قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "لتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى

١. محاسن التأويل: (٢١٠/٦).

٢. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٩/١).

٣. سورة المائدة، الآية ٧١.

٤. سورة المائدة، الآية ٧٣.

٥. سورة التوبة، الآية ٣٠.

٦. سورة التوبة: ٣١.

٧. انظر: سنن الترمذي، كتاب التفسير، ح (٣٠٩) (٢٧٨/٥) وتفسير الطبري (٢٠٩/١٤).

٨. سورة الحديد، الآية ٢٧.

٩. المفردات (رهب): ص: ٢٠٤.

١٠. زاد المسير (١٧٦/٨).

لودخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم". قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟!"^(١).

ب - معنى الغلو في السنة:

ورد لفظ الغلو في السنة بناء على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث في ثلاثة أحاديث هي:

١ - حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: غداة جمع: "هلمّ القط لي"، فلقطت له حصيات، هن حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: "نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم الغلوفي الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوفي الدين"^(٢).

وقد فسر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث فقال: ("وإياكم والغلو في الدين" عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال، والغلو: مجاوزة الحد، بأن يزداد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى: ﴿الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٣) وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك، بناء على أنه أبلغ من الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى^(٤)، وقال الحافظ ابن حجر: (أما الغلو فهو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق)^(٥).

وبناء على هذا الحديث فإن الغلو يكون في الأعمال، كما هو ظاهر من سبب الحديث ويكون في الاعتقادات والأخلاق، والمواقف من الآخرين، والحب والبغض والولاء والبراء.

١. رواه البخاري، كتاب أحاديث الأئمة، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٢٤٦)/٤(٣٢٥) ومسلم كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود... ح(٢٦٦٩)/٤(٢٠٥٤) واللفظ له.

٢. رواه أحمد في المستدر (٣/٣٥٠) والحاكم في المستدر (١/٤٦٦) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي، كما صححه شيخ الإسلام، وقال على شرط مسلم، انظر: اقتضاء الصراط (٣٨٨/١) وهو لصواب إبان رجاءه لشيخين غير زياد بن الحصين فمن رجال مسلم، انظر تهذيب التهذيب (٣/٣٦٩).

٣. اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٢٨).

٤. فتح الباري (٣/٢٧٨).

وسائر الأحوال، استدلالاً بعموم اللفظ، وعلى المرء أن لا يستخفه كون أصل الاعتقاد والعمل والحال مشروعاً حتى يعرضه على هدي سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - فلا يزيد فيغلوا، ولا يقصر فيجفوا.

٢ - حديث عبد الرحمن بن شبل^(١) - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ عليه وسلم - يقول: " تعلموا القرآن، فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تكلوا به ولا تستكثروا به "^(٢).

قال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: "غير الغالي فيه"، بالجر، أي: غير المجاوز عن الحد لفظاً ومعنى كالموسوسين والشكاكين أو المرأين، أو الخائن في لفظه بتحريفه كأكثر العوام، بل وكثير من العلماء، أو في معناه بتأويله الباطل كسائر المبتدعة، "ولا الجافي عنه"، أي: وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته، وإحكام قراءته وإتقان معانيه، والعمل بما فيه، وقيل: الغلو: المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنع عن تدبر المعنى.

والجفاء أن يتركه بعد ما علمه لاسيما إذا كان نسيه، فإنه عدّ من الكبار^(٣). وقوله: "لا تجفوا عنه"، قال السندي: (من جفا عنه: إذا بعد، أي: لا تبعدوا عن تلاوته ولا تغلوا، بل توسطوا، وفيه نهى عن كل من الإفراط والتفريط، وأمر بالتزام التوسط)^(٤). ٣ - حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن من إجلال الله إكرام ذي شئبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط "^(٥).

١. هو عبد الرحمن بن شبل بن عمرو والأوسي الأنصاري، كان أحد نقباء الأنصار، مات في إمارة معاوية. انظر تهذيب التهذيب (١٧٦/٦).

٢. رواه أحمد في المستدرك (٤٣٧/٢٤) وعبد الرزاق في المصنف، ح (١٩٤٤٤/١٠) (٢٨٧/١٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ح (٦٤٤٥/٤) (١٧٠/٤) رجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ح (١١٦٨) (٢٥٨/١).

٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الأدب، باب الشفقة والرحمة على الخلق.

٤. حاشية مستدرك أحمد (٣٩٠/٢٤).

٥. رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل النسيم نازلهم، ح (٢٨٤٣/٤) (٢٦٧/٤) وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير، ح (٢١٩٩/١) (٤٣٨/١).

قال السهانفوري: ("حامل القرآن": أي حافظه وقارئه "غير الغالي" والغلو: تجاوز الحد، يعني غير متجاوز الحد في التجويد، وأداء الحروف. "والجافي عنه": أي: التارك لتلاوته)^(١).

وعلى ضوء ما سلف يتبين لنا أن الغلو في السنة يراد به مجاوزة ما حده الشارع بالمبالغة والتنطع والتشدد، كما أفادت السنة أن الغلو كما يكون في الاعتقادات فإنه يكون في الأعمال، وأنه سبب هلاك السابقين، وكذلك اللاحقين إن هم غلومثل غلوهم، وزادوا في الدين مثل زيادتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (... ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي أن مجانية هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا)^(٢).

ثالثاً - نظائر الغلو:

وردت ألفاظ تدور في فلك الغلو، وقد يفسر بها، أو تكون بمثابة الأوصاف والمظاهر له، ولذلك يحسن ذكرها، ويتعين بيان معانيها، حتى تكتمل الصورة الكاشفة لحقيقة الغلو، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ، ماذا عنى بها الله ورسوله، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث. ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره، وكانت النظائر كثيرة، عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة، ولا يختص بها هو - صلى الله عليه وسلم - بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدثت بعده في الخطاب، لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه)^(٣)، ومن نظائر الغلو الواردة في الكتاب والسنة:

١- التنطع:

جاء في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هلك المتنطعون " قالها ثلاثاً"^(٤).

١. بنزل المجهود (٩١/١٩).

٢. اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٩/١).

٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١٥/٥).

٤. رواه مسلم، كتاب العلم، باب، هلك المتنطعون، ج (٢٦٧٠) (٤/٢٠٥٥).

قال النووي: "هلك المتنطعون": أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم^(١). وقال ابن الأثير: (هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلو قهم، مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلًا)^(٢)، وهذا المعنى يلتقي مع ما ذكره أهل اللغة، فقد جاء في لسان العرب: (التنطع في الكلام: التعمق فيه... وفي الحديث: "هلك المتنطعون" هم المتعمقون

المغالون في الكلام، الذين يتكلمون بأقصى حلو قهم)^(٣).

واللفظ عام فلا يقصر على معنى دون غيره، قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بعد أن ذكر أقوالاً في المراد بالمتنطعين: (وكل هذه الأقوال صحيحة، فإن المتكلمين من أهل الكلام متنطعون، والمتقرون في الكلام ومخارج الحروف متنطعون، والمغالون في عباداتهم متنطعون)^(٤).

٢ - التشدد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا"^(٥).

قال الحافظ ابن حجر: (المشادة - بالتشديد -: المغالبة، يقال: شادّه يشادّه مشادةً: إذا قاواه، والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، قال ابن الميزر: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع)^(٦).

والمعنى اللغوي يتفق مع المعنى الشرعي، قال الجوهري: (المشادة في الشيء: التشدد فيه... والتشديد خلاف التخفيف)^(٧).

وقال ابن فارس: (الشين والذال أصل واحد، يدل على قوة في الشيء، وفروعه ترجع إليه... ومن الباب الشديد والمتشدد)^(٨).

١. صحيح مسلم بشرح النووي (٢٢٠/١٦)

٢. النهاية في غريب الحديث (نطع) (٧٤/٥).

٣. لسان العرب (نطع) (٣٥٧/٨).

٤. تيسير العزيز الحميد، ص: (٣٨)

٥. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح (٢٨٨/١).

٦. فتح الباري (٩٤/٢).

٧. الصحاح (شدد) (٤٩٣/٢).

٨. معجم مقاييس اللغة (شدد) (١٧٩/٣).

٣ - التعدي:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١). وتعدي الحدود: مجاوزة الحق، وعدم الوقوف عليه^(٢). قال ابن فارس: (العين والذال والحرف المعتل أصل واحد صحيح، ترجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء، وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه)^(٣). وفي لسان العرب: (الاعتداء والتعدي والعدوان: الظلم... وعدا الأمر يعدوه وتعده: كلاهما تجاوزه... والتعدي: مجاوزة الشيء إلى غيره... وأصل هذا كله: مجاوزة الحد والقدر والحق)^(٤).

٤ - الطغيان:

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥). قال الجوهري: (طغى يطغى، ويطغو طغيانا: أي جاوز الحد)^(٦)، وفي لسان العرب: (وكل شيء جاوز القدر فقد طغى)^(٧). والمدلول اللغوي في معنى الطغيان يتفق مع ما ذكره المفسرون، قال البغوي: "ولا تطغوا": لا تجاوزوا أمري، ولا تعصوني، وقيل معناه: ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت)^(٨).

وقال القاسمي: "ولا تطغوا" أي: تجاوزوا حدود الله)^(٩).

ومما لفت الانتباه في هذه الآية أن الله تعالى لما أمر بالاستقامة على أمره عقّب بالنهاي عن الطغيان ومجاوزة الحد، دون التحذير من التقصير، وذلك - والله أعلم - لأن الحرص على الاستقامة يحتاج إلى علم، ويقظة إلى مداخل الشيطان، وأهواء النفس إذ قديوول الحرص على الطاعة والخير مع الجهل إلى غلو وإفراط، ومبالغة تخرج عن الاستقامة على أمر الله

١. سورة البقرة الآية ٢٢٩.

٢. انظر: تفسير الطبري (٥٨٤/٣) والمفردات في غريب القرآن (عدا) ص: ٣٢٦.

٣. معجم مقاييس اللغة (عد و) (٢٤٩/٤).

٤. لسان العرب (عدا) (٣٣/١٥).

٥. سورة هود، الآية: ١١٢.

٦. الصحاح (طغا) (٢٤١٢/٦).

٧. لسان العرب (طغى) (٨/١٥).

٨. معالم التنزيل (٢٠٣/٤).

٩. محلسن التأويل (٣٤٨٩/٩).

فتدين الجاهل ما لم يركن إلى علماء ربانيين، يستنير بهديهم – له طغيان سببه الزيادة على المشروع، والمبالغة في التطبيق، والقسوة في الحكم على المخالف أو عقابه بما لم يأذن به الله، قال الشوكاني – رحمه الله –: (الطغيان: مجاوزة الحد؛ لما أمر الله سبحانه بالاستقامة المذكورة بين أن الغلو في العبادة، والإفراط في الطاعة على وجه يخرج به عن حده والمقدار الذي قدره، ممنوع منه منهي عنه... ولهذا يقول الصادق المصدوق فيما صح عنه: "أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (١)(٢).

٥ - العنف:

قال ابن فارس: (العين والنون والفاء أصل صحيح، يدل على خلاف الرفق، قال الخليل: العنف: ضد الرفق، نقول: عنف، يعنف، عنفا، فهو عنيف، إذا لم يرفق في أمره) (٣). وبهذا المعنى اللغوي جاء المعنى الشرعي، كما في حديث عائشة رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه" (٤). قال النووي رحمه الله: (أما العنف فبضم العين وفتحها وكسرها حكاهن القاضي، والضم أفصح وأشهر، وهو ضد الرفق، وفي هذه الأحاديث فضل الرفق، والحث على التخلق [به] وذم العنف. والرفق سبب كل خير، ومعنى "يعطي على الرفق": أي يثيب عليه ما لا يثيب على غيره، وقال القاضي: معناه: يتأتى به من الأغراض، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره) (٥).

هذا ما وجدته في الكتاب والسنة من ألفاظ هي نظائر للغلو، وتدور في فلكه وثمرت لفظان لم يردا في نصوص الشرع، وقد كثر استعمالهما في عصرنا الحاضر للتعبير عن الغلو، ولذا يحسن ذكرهما، وتجليه المراد بهما:

١. رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ح (١١/٢٧).

٢. فتح القدير (٢١/٥٢).

٣. معجم مقاييس اللغة (عف) (٤/١٥٨) وانظر قول الخليل في كتاب العين (عف) (٢/١٥٧) مختصراً.

٤. رواه مسلم، كتاب البر، ح (٢٥٩٣/٢٠٢/٤) ورواه البخاري مختصراً، كتاب استئابة المرتدين ح (٩/٢٨).

٥. صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/١٦).

١ - التطرف:

المعنى اللغوي الدائر في فلك الغلو للفظ " التطرف " هو منتهى الشيء وغليته قال ابن دريد: (طرف الشيء منتهى آخره)^(١) وفي لسان العرب: (وطرف كل شيء منتهاه)^(٢)، ويبدو من مراجعة معاجم اللغة أن إطلاق التطرف على الغلو في الدين مستحدث لكن اللغة لا تأباه، لأن التطرف " تفعل " من تطرف يتطرف فهو متطرف: إذا تحي وبلغ المنتهى^(٣)، ولذلك أقر مجمع اللغة بمصر معنى " تطرف " بأنه: تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط^(٤).

وكلمة التطرف دخيلة أيضا على معجم المصطلحات الشرعية، فلم ترد بمعنى الغلو في الدين في الكتاب أو السنة، أو أقوال سلف الأمة^(٥)، ولا يخفى أنه لامشاحة في الاصطلاح، لكن الاختصار على المسميات الشرعية أدل على المقصود ولا سيما أن مصطلح " التطرف " لم يتحرر بعد، والإعلام الغربي يربط بين الإسلام والتطرف ليغرس في الأذهان أن الغلو سمة لجميع المسلمين.

٢ - الإرهاب:

جاء في لسان العرب: (رهب، بالكسر، يرهب رهبة ورهباً، بالضم، ورهباً بالتحريك أي: خاف... ورهبه واسترهبه: استدعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فُسر قوله عز وجل: ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾^(٦) أي: أرهبوهم)^(٧)، ولم يرد في الشريعة إطلاق الإرهاب على الغلو، ولذا لا بد من معرفة المقصود بالإرهاب؛ لنعرف مدى صلته بالغلو، وقد كثرت تعريفات الغربيين لهذا المصطلح الحداثي ومن ذلك:

١. جمهرة اللغة (طرف) (٧٥٤/٢).
٢. لسان العرب (طرف) (٢١٧/٩).
٣. انظر: كتاب العين (طرف) (٤١٤/٧).
٤. المعجم الوسيط (طرف).
٥. انظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، ص: ٢٢.
٦. سورة الأعراف، الآية ١١٦.
٧. لسان العرب (رهب) (٤٣٦/١).

١- يعرفه المفكر سويتل بأنه: (العمل الإجرامي المصحوب بالرعب، أو العنف أو الفرع بقصد تحقيق هدف أو غرض معين)^(١).

٢- ويعرفه ديفيد بكفورد في المؤتمر الدولي لجمعية وتطوير القتلون الجنائي في لندن عام

١٩٩٧م بأنه: (تسبب الإرعاب والإفزاع، بهدف الوصول إلى نتيجة مقصودة)^(٢).

٣- وجاء في موسوعة (Encart) الإلكترونية: (الإرهاب هو: استعمال العنف، أو التهديد به، لخلق جو من الخوف بين أناس معينين، أو جهات معينة)^(٣).

ولا يخفى ما في هذه التعريفات من ضبابية، تجعل ذوي المصالح الخاصة يلمزون بالإرهاب ما لا يناسبهم من استعمال القوة، كحق الدفاع عن النفس، وحركات التحرير^(٤)؛ ولهذا يحسن ذكر تعريف المسلمين للإرهاب، ومن ذلك:

٢- عرف مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي الإرهاب بأنه: (العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغياً على الإنسان - دينه ودمه وعقله وما له وعرضه - ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق)^(٥).

٢- وعرفه أحد علمائنا المعاصرين بأنه: (القيام بكل عمل يقصد به ترويع الأبرياء، أو الإفساد في الأرض، أو التخطيط لذلك)^(٦).

وهذا التعريف دقيق في بيان الإرهاب المذموم، إذ إن لفظ "الأبرياء" يخرج المجرمين والظالمين المستحقين للإرهاب، ولفظ "الإفساد" يخرج الإصلاح، وإن كان فيه عنف مأذون فيه شرعاً، كالجهاد، وتطبيق الحدود، وإنكار المنكر.

وبناء على ما سبق فإن الإرهاب على ضوء التعريف الإسلامي ظاهرة خطيرة وإفساد يأباه الإسلام، ولكن لفظ الغلو، والحرابة، والإفساد في الأرض، أصح لغة، وأدل على

١. موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب (٢٠٦/١).

٢. الإرهاب يسيطر على العالم د / خالد عبدات كتاب إلكتروني على الموقع: www.alerhab.net/Look/2.htm

٣. موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب (٢٩٦/١).

٤. انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

٥. الإرهاب آفة العصر، ص: ٨.

٦. موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب (٢٩٧/١).

المقصود شرعا، إذ إن الإرهاب بمدلوله اللغوي والشرعي قبل الاصطلاح الحادث ليس مذموما على الإطلاق، فإن إرهاب الأعداء مأمور به شرعا، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ هَبْوا لَهُمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١) وكذلك إرهاب المفسدين والمجرمين، ورد عنهم عن الإقدام على الجرائم، بتطبيق الحدود الشرعية عليهم.

إن لفظ " الإرهاب " في عصرنا الحاضر ذو مدلول واسع، وسلاح ذو حدين، وقد يستغل ذلك أعداء الإسلام للضغط على أهل الإسلام، حكومات وشعوب، بادعاء أن التطبيق الفعلي للإسلام، ووسائله في القضاء على الجرائم، وتطبيق العقوبات الشرعية ومنع الفساد الموسوم بالحرية - من الإرهاب الذي يحاربه القانون الدولي، ثم إن هنكمن أراد أن يوظف المفهوم الغربي للإرهاب لتأصيل الصراع بين الحضارة الغربي والحضارة الإسلامية^(٢)، تمهيدا لغزو صليبي على العالم الإسلامي بحجة حماية الحضارة الإنسانية.

رابعاً - الألفاظ المضادة للغلو:

من جلي القول أن الأشياء تتبين بضدها، وقد وردت ألفاظ في الكتاب والسنة تضاد الغلو، وتدعوا إلى خلاف ما يدعو إليه، ولذا يحسن ذكرها، وبيان معانيها حتى تتجلى حقيقة الغلو، ويتميز عما قد يلابسه، ومن ذلك:

أ - الوسطية:

الوسطية من أبرز خصائص الإسلام، وأهم مميزاتة، وأوضح صفاته، وبها اكتسب القوة، وتحقق له الانتشار، إذ إن الغلو والتشدد - وإن بدا له بريق ولمعان وقوة في وقت من الأوقات - فإنه يحمل حتفه، ويقضي على نفسه، وسرعان ما يخبو بريقه وتضعف قوته، ويتساقط المنافحون عنه، وتخور قواهم، وتنحل عزائمهم.

وقد ذكر الله تعالى الوسطية في معرض الثناء على هذه الأمة، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٣) والوسط هو العدل كما في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يجيء نوح وأمه، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمه: هل

١. سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

٢. مثال ذلك كتاب: صراع الحضارات، تأليف: د. صامويل هنتجتون.

٣. سورة البقرة الآية: ١٤٣.

بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي! فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ والوسط: العدل^(١). والوسط أيضا: الخيار، قال ابن كثير: (والوسط هاهنا الخيار الأجود، كما يقال: قرش أوسط العرب نسبا ودارا، أي خيرها، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسطا في قومه، أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات)^(٢). قال ابن جرير: (وأرى أن الله - تعالى - ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إن كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)^(٣).

ب - اليسر وما في معناه:

اليسر والسماحة والرفق والتخفيف ورفع الحرج سمات بارزة، وصفات ثابتة، ومعاليم أساسية لهذا الدين الرباني، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٤)، ويقول سبحانه مبينا صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ﴾^(٥) ويقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٦)، ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٧)، ويقول جل جلاله: ﴿طَهُرْنَا مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(٨). وكما دل كتاب الله على يسر هذا الدين وسماحته، والتخفيف على أتباعه، ورفع الحرج والشقاء عنهم، فقد دلت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك،

١. رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا...﴾ ح(١٤٢)/٤(٢٧٠).

٢. تفسير القرآن العظيم (١٩٦/١).

٣. جامع البيان (١٤٢/٣).

٤. سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

٥. سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

٦. سورة الحج، الآية: ٧٨.

٧. سورة النساء، الآية: ٢٨.

٨. سورة طه، الآية: ١.

واليك بعض الأحاديث التي تؤكد هذه السمات، وتنفي عن دين الله الغلو المقيت، والتشدد الموقع في العنت:

١- قال - صلى الله عليه وسلم - "إن الدين كله يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا"^(١).

٢- وقال - صلى الله عليه وسلم -: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة"^(٢).

٣- وقال - صلى الله عليه وسلم -: "إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة"^(٣).

٤- وقال - صلى الله عليه وسلم -: "لا تشددوا على أنفسكم فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم"^(٤). وفي رواية: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم"^(٥).

٥- وقال - صلى الله عليه وسلم -: "يا أيها الناس، إنكم لن تفعلوا، ولن تطيقوا كل ما أمرتم به، ولكن سدوا وأبشروا"^(٦). ويشهد لهذا الحديث قول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضِ مَا أَمَرُهُ﴾^(٧) فقد فسره مجاهد بقوله: (لا يقضي أحد أبداً كل ما افترض عليه)^(٨) قال ابن كثير: (ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا)^(٩).

٦- وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم يبعثني معذناً ولا متعذتاً، ولكن بعثني معلماً ما

ميسراً"^(١٠).

١. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح(٢٨/١).
٢. رواه البخاري معلماً، الموضع السابق، قال الإمام ابن حجر في الفتح(٩٤/٨)؛ (وله أحمد بن حنبل وغيره... وإسناده حسن).
٣. رواه أحمد في المسند ح(١٨٩٧/٣١) وأورده الهيئمة في المجموع ح(١٥٩٨٢/٩) و(٦١٧/٩) وقال: رجاله رجال الصحيح.
٤. رواه الطبراني في الكبير(٧٢/٦) والأوسط(٢٥٨/٣) وقال الهيئمة في مجمع مع الزوائد، ح(٢٢٠/١)؛ فيه عبد الله بن صالح كتاب الأيثار ووثقة جماعة وضعفه آخرون وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: (٢٢/١)؛ (صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة).
٥. رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الحسد، ح(٤٩٠٤/٤) و(١٧٧/٤) وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، المذكور في الحاشية السابقة.
٦. رواه أحمد، ح(١٧٨٥٦/٢٩) وقال محققوه: إسناده قوي.
٧. سورة عبس، الآية: ٢٢.
٨. تفسير الطبري (٥٦/٣٠) (طبعة الحلبي).
٩. تفسير القرآن العظيم (٥٠٤/٤).
١٠. رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته... ح(١٤٨٧/٢) و(١١٠٤/٢).

٧ - وقال - صلى الله عليه وسلم - " ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم "١.

والأحاديث التي تبين سماحة الإسلام ويسره، وأنه جاء لإسعاد الفرد والأمة، لا لشقائها. أكثر من أن تحصر. ومعلوم أن الغلو والتشدد والتنطع، وتكليف النفس فوق طاقتها، أو إيقاعها في الحرج والعنت، تنافي مدلول هذه الأحاديث.

ج - الاستقامة:

تكاثرت النصوص التي تحت على الاستقامة، كقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ٢.

والاستقامة في اللغة: الاعتدال، يقال: قام الشيء واستقام: اعتدل واستوى ٣. وحقيقة الاستقامة: لزوم المنهج المستقيم، وهو المتوسط بين الإفراط والتفريط ٤. قال البغوي: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ أي: استقم على دين ربك والعمل به ٥. ﴿ وَلَا تَطْغَوْا ﴾: لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني، وقيل: معناه: ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت ٥. وإذا تدبرنا القيد ﴿ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ أي من غير نقص ولا زلة علمنا معنى قول ابن عباس - رضي الله عنهما -: " ما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية عليه " ٦.

قال شيخ الإسلام: (دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر، إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظفر، إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه) ٧.

وقال ابن القيم: (الاستقامة ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحدود في كل شيء) ٨. وقال أيضا: (هاهنا ثلاثة أشياء تنافي تعظيم الأمر والنهي:

١. رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم، ح(١٣٢٧)/٤(١٨٣٠).

٢. سورة هود، الآية: ١١٢.

٣. انظر: لسان العرب (قوم) (١٢/٤٩٨).

٤. انظر: روح المعاني للألوسي (٢٤٥/٦).

٥. معالم التنزيل (٢٠٣/٤).

٦. الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/٩).

٧. مجموع الفتاوى (٣٨١/٣).

٨. مدارج السالكين (١٠٨/٢).

أحدها - الترخّص الذي يجفّو بصاحبه عن كمال الامتثال، والثاني - الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي.

وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان^(١)؛ إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه... فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد^(٢). ثم ذكر الأمر الثالث الذي ينافي تعظيم الأمر والنهي، وهو حملهما على علة تضعف الانقياد.

وليس المقصود هنا استيفاء حقيقة الاستقامة، بل الإشارة إلى منافاتها للغلو والتنطع.

خامساً: ما يلتبس بالغلو:

قد تلبس المعاني الشرعية بغيرها، أو تحمل على غير معانيها، إما لضعف دلالة الألفاظ عند من لا بصيرة له، وإما لهوى في النفس، ومرض في القلب. ولا يجوز لأحد غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ينصب نفسه ميزاناً لغيره فيعتبر من زاد على ما هو عليه غالياً، ويعتبر من نقص عنه مفراطاً، بل الميزان في ذلك كتاب الله، وسنة رسول الله، وهدي أصحابه، وما عرف بالضرورة من منهج أهل السنة والجماعة، وهذه الموازين كلها كالميزان الواحد، يرجع بعضها إلى بعض، من غير تعارض أو تناقض.

وقد يفهم الغلو فهماً خاطئاً، ويدخلوا فيه ما ليس منه ولذا لا بد من القول بأنه ليس من الغلو:

١ - الالتزام بشعائر الإسلام، والمحافظة على الواجبات، والحرص على السنن دون تنطع، ومما يؤسف له أن البعض ينبز بالغلو كل من التزم بالتكاليف الشرعية، والسنن النبوية، على وجه القصد والاعتدال، ودون إفراط أو تفريط، وهذا من جعل المعروف منكراً، والحق باطلاً، ومن التلبس الذي يضل به كثير من الخلق.

١. في الأصل: نزغتان، والتصحيح من نفس المصدر (١١٣/٢).

٢. مدارج السالكين (١٧٧/٢).

٢- الميل إلى الرأي الأشد في مسائل الاجتهاد، فليس من الغلو أخذ الرأي الأثقل إذا كان الدليل يعضده، أو كان أبرأ للذمة، وفق ضوابط التحوط التي نكرها العلماء لكن الغلو قد يتسلل من جهة وصم المخالف بالمروق من الدين، أو تمييزه، أو أنه ممن يتبع هواه أو يتبع الرخص، فيزكي المتحوط نفسه، ويذم غيره، مع أن المسألة مما يسوغ فيها الخلاف!).

٣- طلب الكمال في العلم والعمل، إذ إن الكمال مطلب شرعي والسعي لتحصيله فضيلة، يُثنى على صاحبها في الدنيا، ويؤجر عليها في الآخرة، قال ابن المنير-رحمه الله- (إن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل)^(١).

ويضاف إلى ما ذكره ابن المنير من صور الغلو المذموم ما يأتي:

أ- الجور على النفس بتكليفها بالرخص، والشعور بالإثم عند الترخص بما أنتت به الشريعة، كمن يلزم نفسه بإنكار المنكر باليد مع عدم القدرة أو مع العنت الشديد وترخيص الشريعة السكوت في مثل هذه الحالة، فإن لم ينكر بيده شعر بالإثم والتقصير.

ب- الغلو والمبالغة في تكفير المخالف عند أدنى شبهة، ثم الجزم القاطع بصحة تكفيره، والشعور بالإثم والحرَج إن لم يكفره.

ج- الميل إلى الأشد في التعامل مع المخالف من كافر أو منافق أو فاسق، فمثلاً وردت نصوص تأمر بالغلظة على الذين كفروا وقتالهم^(٢)، ونصوص أخرى تأذن بالبر بهم والإقسط إليهم^(٣)، والإحسان إليهم^(٤)، والعضو عنهم^(٥)، وعدم الاعتداء عليهم^(٦)، ووجوب العدل معهم^(٧)، وقبول الصلح معهم، والوفاء بالعهد لهم^(٨).

١. انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين، ص: ٨٦.

٢. فتح الباري (٩٤/١).

٣. كقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢].

٤. كقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُغَيِّرُوا دِينَكُمْ فِي الَّذِينَ وَلَكُمْ عَهْدٌ وَهُمْ يَقْسِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨].

٥. كقوله تعالى: ﴿وَالْحَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

٦. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَهُمْ قَاعَفَ عَنْهُمْ وَأَصْفَحَ﴾ [المائدة: ١٣].

٧. كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّكُمْ عَنِ الْتَّسْجِدِ الْمَرَّارِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

٨. كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَدُلُّوْا أَعْدَاءَهُمْ قُلْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

٩. كقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقْتَضَا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَحِثُ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

فالمبتلى بالغلو يميل إلى النصوص الموافقة لهواه، ولا يلتفت إلى النصوص الأخرى التي تبين أن للكفار أنواعاً وأحوالاً ومعاملات متعددة، لا يحرص الغالي على معرفتها أو ذكرها، أو التفريق بين من فرق الله بينهم.

د - عدم التأني في الفتنة، وركوب المخاطر لإشعالها، والرغبة الجامحة لأن يكون وقودها، مع ما في ذلك من سفك دماء معصومة، ومفاسد معلومة، ومضادة لنصوص الشرع، ومخالفة لمقتضى الحكمة والعقل، ومصلحة الفرد والجماعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه، وإما بيده، مطلقاً من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتي بالأمر والنهي، معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله، وهو معتد في حدوده، كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء، كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وغيرهم، ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك، وكان فسادهم أعظم من صلاحه، ولهذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم، ما أقاموا الصلاة^(١)، وقال: "أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم"^{(٢)(٣)}.

وبناء على ما سبق استعراضه نستطيع أن نعرف الغلو فنقول:
الغلو: مجاوزة ما حده الله ورسوله في العقائد، أو الأعمال، أو التعامل مع الآخرين، أو الحكم عليهم.

كما تبين مما سبق أن الغلو في الدين من كبائر الذنوب، وظلم النفس وقد يكون ظلماً للآخرين، ويمكن إجمال الأدلة على تحريمه بما يأتي:

١ - النهي الصريح عن الغلو في الكتاب والسنة.
٢ - بيان أنه سبب هلاك من قبلنا، وسنة الله واحدة، فما أهلك السابقين يهلك اللاحقين.

٣ - أن الغلو ابتداع في الدين، واستدراك على الشرع "وكل بدعة ضلالة"^(٤).

١. رواه مسلم، كتاب الإمارة، ج(١٨٥٥) (١٤٨١/٣).

٢. رواه بنحوه البخاري، كتاب الفتن، ج(٨٤/٩) (١٤٧٢/٣) ومسلم، كتاب الإمارة، ج(١٨٤٣) (١٤٧٢/٣).

٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢٨/٢٨).

٤. جزء من حديث رواه مسلم، كتاب الجمعة، ج(٨٦٧) (٥٩٢/٢).

٤ - أنه تعد لحدود الله ﴿وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

٥ - أنه قد يفضي إلى تزكية النفس، والاعتزاز بالعمل، واحتقار الآخرين والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٢) وفي الحديث: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه"^(٣).

٦ - أن الغلو سبب لسوء الظن بالله، والشعور بضياح الدين، وهلاك المسلمين. وقد قال الله في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"^(٤)، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم"^(٥).

والأشهر عند المحدثين رواية: "أهلكهم" بالضم^(٦)، ومعناها ك ما ي قول الخطابي: (على وجهين: أحدهما - أن يكون ذلك في أصحاب الوعيد ومن يرى رأي الغلاة منهم ...

والوجه الآخر - أن يكون في ذلك الرجل، يولع بذكر الناس، وإحصاء عيوبهم، وعدّ مساوئهم، فهو لا يزال يقول: هلك الناس، وفسدت نياتهم، وقلت أماناتهم، ويذهب بنفسه عجا، ويرى لها على الناس فضلا)^(٧).

ومما يؤسف له أن هذه سمة لكثير ممن ابتلي بالغلو، فهو يرى الخير في الناس من منظار ضيق، بينما يكبر السلبيات، ويشيع الأخطاء الفردية، ويخيل إليه أن الأمة قد ابتليت بذلك، وأنها قد هلكت أو أوشكت.

ومثل هذا يذكر بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِتُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٨)، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس"^(٩) وغير ذلك من المبشرات.

١. سورة البقرة، الآية ٢٢٩.

٢. سورة النجم، الآية ٣٢.

٣. جزء من حديث رواه مسلم، كتاب البر، ج(٢٦٢٣)/(٤/٢٠٢٤).

٤. رواه البخاري كتاب التوحيد ج(١٣٠)/(٩/٢٥٩) ومسلم كتاب التوبة ج(٢٦٧٥)/(٤/٢١٠٢).

٥. رواه مسلم، كتاب البر، ج(٢٦٢٣)/(٤/٢٠٢٤).

٦. صحيح مسلم بشرح النووي (١٧٤/١٦).

٧. غريب الحديث (١/٣٦٦د).

٨. سورة الصف، الآية: ٨.

٩. رواه البخاري، كتاب المناقب، ج(١٤٢)/(٥/٦٠) ومسلم كتاب الإمامة، ج(١٠٣٧)/(٣/١٥٢٤) واللفظ له.

٧ - أن الغلو قد يحمل المبتلى به على تكفير المخالف له من أهل القبلة ولستباحة دمه وعرضه وماله، متأولاً لفعله بأنه يجاهد في سبيل الله، وينافح عن دينه، فيظلم أخاه، ويخطئ في فهم دين الله.

٨ - أن الغلو - وعلى مدار تاريخ الإسلام - كان سبب إثارة فتن تصد عن سبيل الله، وتشغل عن طاعة الله، وتقطع السبيل إلى بيت الله، وتمكن لأعداء الله، وتؤخر مسيرة الأمة الحضارية، وشواهد التاريخ أكثر من أن تحصر.

٩ - أن الغلو هو مفتاح التفرق، وباب البروز للمبتدعة، وبه ضرب الحق وأهله وصُد عن السنة، وأذل أتباعها.

هذه مجمل الأدلة على تحريم الغلو، وأنه من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام، وأن من ابتلي به يتقرب إلى الله بما يبغضه، ويتزلف إلى الجنة بما يبعده.

* * *

المبحث الثاني

أسباب الغلو

الغلو حالة وجدانية نفسانية، يتلى بها الفرد فتؤثر على شخصيته، وعلى منهج حياته، وتغير نظرته للواقع، وموقفه من المخالف.

وهذه الحالة لها أسباب تولدها وتوجدتها، وأخرى تمدها وتؤججها، ويصعب على الباحث حصرها جميعاً، إذ إن الغلو مرتبط بالدين الذي ينافح عنه الغالي بطريقته وتصوره ومرتبطة بالمجتمع في جانبه الشعبي والسياسي، ومرتبطة بحضارة الأمة التي تعاني من صراع عنيف مع حضارات الأمم، ولذلك تتعدد الأسباب، وتتجدد المشاكل التي تولد الغلو، وتؤدي إلى الهيجان، وردود الأفعال العنيفة، كما أن لكل بلد ومجتمع ظروفًا خاصة تساعد على تأجيج الصراع الداخلي، والتأزم النفسي، مما له أثر على تولد الغلو وزيادته وسأقتصر على أهم أسباب هذه المشكلة - في نظري - وبما له مساس بمجتمعنا الخاص، تاركاً الحصر والتفاصيل للدراسات الموسعة^(١) فمن تلك الأسباب:

أولاً - السبب العام:

إن السبب العام لكل بلاء وفتنة، ولكل نازلة ومصيبة، وينشأ عنه التنازع والاختلاف والفرقة والافتتال، هو التقصير في حق الله، والتكبر عن صراطه، مما يستجلب عقوبته ويستنزله عذابه. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢) وينبغي ربط كل نازلة وبلية بهذا السبب العام، لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣) ولا شك أن الغلو وما يترتب عليه من فرقة واختلاف، وتسلسل عدو، وقتال بين طوائف الأمة - من المصائب العظام التي تمس الفرد والمجتمع والدولة^(٤).

١. انظر: مشكلة الغلو في الدين (٥٢/١) ورسائل ودرا سات في الأهواء.. (٢٨٧/١) وظاهرة الغلو في الدين ص: ٦٩.

٢. سورة الإسراء، الآية: ١٦.

٣. سورة الشورى، الآية: ٣٠.

٤. انظر: ظاهرة الغلو والتكفير، د. ناصر العقل، ص: ٣٢.

قال شيخ الإسلام: (فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء، إذ لم يبق هنا حق يشتركون فيه، بل ﴿تَطَعُوا أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونٌ﴾ (٨١) (٢) .

ثانيا - الجهل المركب :

والمقصود به الجهل الذي لا يعلم به صاحبه، وهو أعظم من الجهل البسيط المقرب به صاحبه، فالجهل المركب يقود إلى مهالك، ويجر الفرد والمجتمع إلى ويلات وتسبب في فساد عريض في الدنيا والدين، ولهذا الجهل مظاهر، منها:

١- الجهل بقواعد الشريعة، ومقاصدها النبيلة، كراعية المصالح، ودرء المفسدات وارتكاب أخف الضررين، والمنع من إنكار المنكر إذا جرَّ إلى منكر أعظم منه^(١) ونباه الشريعة على مصالح العباد، قال الإمام ابن القيم: (فصل في تغيير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد، وهذا فصل عظيم النفع وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل إليه، ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد...) (٤).

وقال أيضا: (...) وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أسلس كل شر وفتنة، إلى آخر الدهر... ومن تأمل ما جرى للإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآه من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه^(٥).
٢- الاغترار بكثرة المحفوظ من العلم، دون وعي وفقه، وتبصر بقواعد العلم وضوابطه، ودون دراية بحسن التعامل مع متشابه النصوص، ومعرفة بالأصل والفرع.

١. سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

٢. مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٣).

٣. انظر: إعلام الموقعين (١٦/٣).

٤. المصدر السابق (١٤/٣).

٥. المصدر السابق: (١٥/٣).

ومتى يلغى المفهوم ومتى يقبل، وكيفية التعامل مع موهم التعارض بين النصوص وما واقع الأمة، ومتى تعفى من بعض الأحكام^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في أمثال هؤلاء: (خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفّروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاةهم... وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن، فيتأولونه على غير تأويله، من غير معرفة منهم بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن)^(٢).

وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى خطورة هذا المسلك بقوله "يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"^(٣) فقد وصفهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بقراءة القرآن، لكن من غير فقه ولا معرفة، قال الحافظ ابن حجر: (قوله "لا يجاوز" يحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به، ويحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله)^(٤).

وقد أثر عن السلف قولهم: (إذا كان علم الرجل أكثر من عقله، كان قمناً يضره علمه)^(٥).

وقد أحسن الإمام الشاطبي في بيان سبب الخطأ في فهم الدليل الشرعي فقال: (فمن لا يعتبره من أوله وآخره، ويعتبر ما ابتنى عليه، زلّ في فهمه، وهوشأن من

١. يرى بعض المحققين أن الآيات التي وردت في البحث على الصبر، وتحمل الأذى وكف الأيدي، و عدم القتال أمر ضعف المسلمين وقتلتهم، هي من الآيات التي دارت أحكامها على أسباب، فالله أمر المسلمين بالصبر وعدم القتال في أول الأمر لعل الضعف والقلة، ثم أمرهم بالجهاد بعد ذلك لعل القوة والكثرة، والحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، والواجب على الأمة تطبيق ما ت قدر عليه حسب قوتها وضعفها، وهذا هو الموفق لروح الشريعة، وأن الله لا يكلفن فساداً ولا وسعها، ويؤيد هذا إباحة الفرار إذا كان العدو أكثر من نصف المسلمين، ومن باب أولى عدم ابتداء القتال إذا كان العدو كذلك. انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٣٨/١) البرهان (٤٢/٢) والإتقان (٢٩٥٢/٧) ومنهل العرفان (١٥٠/٢).

٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢١٠/١٣).

٣. رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (١١٤) (٤٨/٥).

٤. فتح الباري (٦١٨/٦).

٥. الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٢١/٢).

يأخذ الأدلة من أطراف العبارة الشرعية، ولا ينظر بعضها ببعض، فيوشك أن يزل وليس هذا شأن الراسخين في العلم، وإنما شأن من استعجل : طلبا للمخرج في دعواه^(١).

٣- الجهل بمناهج الأنبياء في التغيير، من الابتداء بغرس العقيدة، وإصلاح النفوس، وتربية الأفراد، وبناء الشخصية المسلمة، المستسلمة لأحكام الله، الصابرة على الأذى، القادرة على ضبط النفس والإعراض عن الجاهلين.

وقد تطول فترة الإعداد، بل إن من الأنبياء من يلحق بربه ولم يؤمر بجهاد أو يكلف بإنكار بيد، أو تغيير بقوة؛ إذ لم يستجب له العدد المقارب لقوة أعدائه، قال ابن كثير- رحمه الله- معللا الحكمة من عدم فرض الجهاد في مكة: (وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال، ليشتموا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً لأسباب كثيرة منها قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم)^(٢)

٤- الخطأ في فهم المرجعية العلمية التي يوثق بها في الفتوى، ويؤخذ منها العلم، ولا سيما في الأمور التي تتعلق بمصير الأمة، فبعضهم يتخذ الخطيب المفوه مرجعاً له لأن صرخته وشجاعته تدل على إخلاصه وصدقه، وأنه ممن لا تأخذه في الله لومة لائم !!
ومنهم من يخدع بمن دخل السجن وخرج منه مرات عديدة، أو بمن شارك في الجهاد، ومعلوم أنه لا تلازم بين الإخلاص والصدق، وبين ثبوت المرجعية العلمية المؤهلة للفتوى في المهمات والنوازل^(٣).

لقد ثبت على مدار تاريخ الأمة الإسلامية أن قادة الغلو يملكون مؤهلات التأثير من عواطف جياشة، وغيره متقدمة، وشجاعة نادرة، وإقدام بلا تردد، واستعجال للنصر، لكن قد يفقدون المؤهلات العلمية، والدراسة الواعية لسنن الله الكونية، والدرالية بمجريات الأحداث، فإذا تصدوا للأمور الكبار، والمصالح العظام، وما له مساس بمصير الأمة، كثُر منهم الخلط والتخبط، والحكم بالهوى والعواطف، وقادوا أتباعهم إلى الهلاك.

٥- الجهل بأثر الانتماء إلى حزب أو جماعة، من سلب إرادة الفرد أو ضعفها، وعجزه عن مقاومة ما يمليه العقل الجماعي، أو يفرضه الحزب، أو تقرره الجماعة وقد

١. الاعتصم (٢٢٣/١).

٢. تفسير القرآن العظيم (٥٣٨/١).

٣. انظر: التفجيرات والاغتيالات ص: ١١٣.

يكون هذا نوعاً من اتباع الهوى، وخلافاً لقصد الشرع، متى ما وافقهم على خلاف الحق وهو يعلم، يقول الإمام الشاطبي: (المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف من داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد لله اضطراراً)^(١).

ويؤكد الشيخ بكر أبو زيد أثر الانتماء الحزبي في الاعتقال الفكري، والحجر على العقلية الإسلامية بقوله: (إذ العيش في قالب الأحزاب همه الدفاع عنها، وتعميقها في النفوس، فاعتقلت بهذا الإنتاج الفكري في حدود الحزب)^(٢).

والملاحظ أن الغلاة لا يستمرون في الانتماء إلى الأحزاب والجماعات، لضيق عطشهم، وسرعة انفعالهم، وتبرمهم من الانضباط، وتعجلهم في تحقيق أهدافهم، وغلظتهم في إنكار ما يرونه منكراً.

٦ - الجهل بأن الغلو والتنطع معصية لله ورسوله، وأن الغالي قد عذب نفسه في الدنيا، وعرضها لعذاب الله في الآخرة، فهو يندرج فيمن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٣) قال ابن القيم: (من كيد الشيطان العجيب أنه يشامُ النفس^(٤))، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليه: أ قوة الإقدام والشجاعة لم قوة الإحجام والمهانة، وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين، وادي التقصير، وادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جدا الثابت على الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -^(٥).

٧ - الجهل بإجماع أهل السنة والجماعة على وجوب الطاعة لولاة الأمور، وتحريم الخروج عليهم، وإن كانوا ظلمة وعصاة، قال شيخ الإسلام بن تيمية: (...وأما أهل العلم والدين والفضل، فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولأهال الأمور، وغشهم، والخروج عليهم، بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً)^(٦).

١. المواصفات للشاطبي (٢/ ١٢٨).

٢. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات، ص: ١٤٤.

٣. سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

٤. يقال: شامم فلاناً: أي انظر ما عنده، لسان العرب (شمم) (١٢/ ٣٢٦).

٥. إغاثة اللهاقان (١/ ١٣٦).

٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ١٢).

وقال أيضا: (وقد استفاض وتقرر في غير هذا الموضع ما قد أمر به - صلى الله عليه وسلم - من طاعة الأُمراء في غير معصية، ومناصحتهم، والصبر عليهم في حكمهم وقسمهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم، ونحو ذلك من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم... ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح وتقم الفتن، كما هو معروف من أصول أهل السنة و الجماعة، كما دلت عليه النصوص النبوية لما في ذلك من الفساد الذي يُربِّي على فساد ما يكون من ظلمهم)^(١).

٨ - الجهل بما يؤول إليه القول والفعل:

من دلائل الرسوخ في العلم، والفقه في الدين، التبصر بمآلات الأقوال والأفعال، ومعرفة نتائجها، وهل تحقق مصلحة، أو تدرأ مفسدة، ومن ثم يقدم المرء أو يحجم. ومن أبرز الدلائل على اعتبار المال، والمؤاخذه بالنتائج قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) فمنع الله تعالى أن يفعل المؤمنون فعلا جزا يؤذي إلى محذور، قال السعدي: (في هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهي أن الوسائل تعتبر بالأمر التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جزئة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر)^(٣)، وقال الشاطبي: (النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا)^(٤).

ومن هذا المنطلق حرمت الشريعة تغيير المنكر، إذا كان يؤدي إلى منكر أعظم^(٥) وأوجب ارتكاب منكر أو أباحت له عارض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وتفرع من هنا مسألة وهو ما إذا كان لا يتأتى له فعل الحسنة الراجعة إلا بسيئة دونها... فإن كثيرا من الناس يستشعر سوء الفعل، ولا ينظر إلى الحاجة المعارضة له، التي يحصل بها من ثواب الحسنة ما يربِّي على ذلك، بحيث يصير المحذور مندرجا في المحبوب.. كما

١. المصدر السابق (٢٥/٢٠).

٢. سورة الأنعام، الآية (١٠٨).

٣. تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٩).

٤. الموافقات (٤/١٤٠).

٥. انظر: إعلام الموقعين (١٦/٣).

أن الأمور المباحة، بل والمأمور بها إيجاباً أو استحباباً [إذا^١] ما تعارضها مفسدة راجحة تجعلها محرمة^٢، وإذا تأملنا الصراع بين الراعي والرعية - عبر تأريخ الأمة الإسلامية - نجد كثيراً من جوانبه هو من هذا الباب، فالراعي ينظر إلى المصلحة الراجحة، والمنكر عليه يرى سوء الفعل.

إن الجهل بنتائج الأقوال، ومآلات الأفعال، سبب رئيس للافتن التي تعصف بأهل الإسلام، إذ إن بعض المسلمين الغيورين يندفعون إلى تغيير ما يرونه منكراً دون تروأ أو حكمة، ودون وزن للمصالح والمفاسد، فإذا انكشفت الغمة، وهدأت فورة الغضب تبين لهم أن ما أفسدوه أكثر مما أصلحوه، وأن جهدهم وتعبهم هو أقرب للسيئات من الحسنات.

ثالثاً - التحديات المعاصرة:

تعاني الأمة الإسلامية في هذا العصر من تحديات ضخمة، ومواجهات عنيفة ومكر كبار، استهدف عقيدة المسلمين، وأخلاقهم، ومحارمهم، بل ووجودهم، مما أثار العواطف، وأجج المشاعر، وجعل أصحاب الأفكار الغالية ينتهزون الفرصة، ويبثون سمومهم فيمن يحسن الظن بهم، ويعتقد أن لديهم حلولاً ناجحة لدرء الفتنة عن المسلمين، ومن تلك التحديات:

تسلط الكفار بالاحتلال، والتحكم في المصالح، والتدخل في الشؤون الخاصة، وفرض ثقافتهم، وإنكاء صراع الحضارات، لضرب الإسلام، وإذلال أهله، تحت مظلة محاربة الإرهاب.

١- الغلو المعاكس، والتطرف المضاد، من حملة الأفكار المستوردة والمتمثل في الافتتان بالأنموذج الغربي للحياة، والانفتاح المتسارع على حضارته، والنظر بمقاييسه وإبعاد الدين عن بعض جوانب الحياة، والاستهزاء بحملته، والاستخفاف بالأخلاق، ومصادمة ثوابت الدولة، ومسلمات المجتمع، مما يستفز عامة الناس، فضلاً عن الغيورين على الدين، فكيف بمن ابتلي بغلو وتنطع، وعنف وتهور.

١. زيادة لا بد منها لتستقيم العبارة.

٢. المصدر السابق (٢٨/٣٥).

٢- التنكر العجيب لأحكام عرفت من الشريعة بالضرورة، كالجهاد بشروطه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء والبراء بالضوابط الشرعية، وصيانة المرأة وقوامة الرجل عليها، ونحو ذلك مما يكثر الخوض فيه بهوى أو جهل.

إن التنكر لحقائق شرعية ثابتة يستفز عامة الناس، فضلا عن خاصتهم، ويتذرع به أهل الغلو، ويمكن لهم في قلوب الشباب.

٣- بروز المبتدعة، وتلاميذهم، والإيحاء بأنهم حملة الإسلام، القادرون على مواجهة أعدائه، مع تحالفهم معهم في الباطن، واتحادهم على محاربة التوجه الصحيح للإسلام، المتمثل في الدعوة السلفية، والتي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

٤- محاربة الغلو بغلو، والعنف بعنف، ومن السنن المطردة أن كل قوة لها ردة فعل تماثلها في القوة وتخالفها في الاتجاه.

إن محاربة الغلو وإن احتاجت إلى شيء من الحزم، لكن الحرب الحقيقية معه هي اقتلاع شبهه، ورد حججه، وبيان زيفه، وتعريضه لكل مخدوع به، وكشف ما وراء الأستار لمعرفة من يموله، ويروج له، من أعداء الحق، ومبغضي السنة. إن هذه التحديات المعاصرة للمسلم اليوم وغيرها كثير، ولدت ردة فعل عنيفة وجعلت تيار الغلو يجد الفرصة المواتية لانتشاره وتوغله، وتغلغله في الأفئدة، ووجود من يتعاطف معه ممن لم يتل به، ويتلخ بأدراجه.

رابعاً - الشحن العاطفي:

في بؤرة واقع الأمة المتردي، وعبر تلك التحديات الكبرى التي تمر بها في هذا العصر، وُجد من يشحن الشباب شحنا عاطفيا، ويضرب على الوتر الحساس، ويستغل واقعا مؤلما، ورغبة جامحة لدى الشباب نحو رد الفتنة، ودفع العدو، وتغيير واقع الأمة.

ويصعب حصر أهداف هؤلاء المستغلين لعواطف الشباب، المؤججين لنار الفتنة ولكن يمكن تصنيف ذوي الأغراض السيئة إلى ثلاثة أصناف:

١- أهل الأهواء والتحزب:

وهؤلاء يعتمدون على تأجيج المشاعر، ويربون أتباعهم على الحمس غير المنضبط بضوابط الشرع، وقواعد الدين، ويحرصون على تكثير الأتباع بأساليب دعاية مع الغفلة

عن الغايات الكبرى في الدعوة إلى الله، من غرس العقيدة، وتأصيل المنهج، وجمع الكلمة على العلماء والولاة، وتحقيق الأمن^(١).

ومن الجدير بالتنبيه أن هذه الفئات التي تميل إلى الشحن العاطفي تبالغ في ذكر فساد المجتمع، وتهول من مخططات الأعداء، والمبالغة في هذا الشأن لها أثر سلبي كبير على المدى الطويل، كالإيحاء بأن الفساد ضربة لازب، لا طاقة للأفراد في تغييره وبث روح اليأس والانهزامية في الأنفس، والشعور بغربة الدين، وصعوبة تطبيقه وملازمة الحزن المفضية لانتكاسة ضعفاء الإيمان.

٢ - أصحاب البدع:

للمبتدعة أعداء أهل السنة والجماعة أثر عظيم في انتشار الغلو، وتغلغله في الأفتدة، بل إن المرء يجزم بأن قادة الغلو، والموجهين الحقيقيين له، هم من أعداء أهل السنة والجماعة، الجادين في القضاء على الحق باسم الحق، ومما يؤكد هذا:

أ- أن بلاد الحرمين - موئل أهل السنة والجماعة، والمدافع الحقيقي عنهم - أكثر من اصطلى بنار الغلو، ولو كان الغلو يقود نفسه لكان نصيب كل بلد من بلدان العالم الإسلامي على قدر بعده عن الدين، وتحكيم شريعة الإسلام، ولكانت بلانهاهي الأقل في انتشار الغلو، وتسلسل الغلاة.

ب- أن كل الأسباب التي يتذرع بها الغلاة موجودة من قبل، فلماذا لم يبرز نجم الغلو إلا بعد ثورة الخميني في إيران، وتبنيها مشروع تصدير الثورة!!!؟

ج- اعتراف بعض الغلاة التائبين بالصلة الوثيقة بينهم وبين أعداء أهل السنة من المبتدعة^(٢).

إن على العاقل اللبيب الاستفادة من عبر التاريخ، والاستضاءة بما وقع في الماضي فلقد قتل عثمان ثم قتل علي - رضي الله عنهما - وقُضي على الخلافة الراشدة بعد فتن عظام، وسفك دم حرام، وكان الفاعل لذلك - في الظاهر - أيادي متوضعة حملها على ذلك غير متقدمة، وعواطف متأججة، تريد نصرة حق، ودفع باطل - فيما يترأى لهم -

١. انظر: ظاهرة الغلو والتكفير، ص: ٢٨.

٢. انظر: الإرهاب، د. وافته وعلاجه، ص: ١٩٦.

ولكن بعد هدوء العاصفة، وانكشاف الغطاء، تبين أن المحرك لهذه العواطف والمؤجج لتلك المشاعر، لفيف من حزب باطني، من زنادقة الفرس، وكفرة أهل الكتاب ومنافقي العرب^(١).

إن الحزب الباطني الذي قضى على الخلافة الراشدة، وأعاق الفتوحات الإسلامية ومده يده لكل عدو للإسلام، لا يزال يعمل عمله اليوم، من ضرب الحق، والقضاء على أهل السنة والجماعة، وإضعاف كل قوة لهم، ومنها هذه البلاد المباركة، الحارس الأمين - بعد الله - للحق وأهله، والكاشف المبين لزييف المزيفين، وابتداع المبتدعين، ممن يتباكون على الإسلام وأهله علنا، ويطعنونه في الفؤاد سرا، ويتجللون بجلال حب آل البيت، ويتدثرون بزخرف القول غرورا، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

٣ - حملة الأفكار المستوردة:

وهؤلاء لهم دور كبير في إنكاء الغلو، إما بقصد، إذ إن من مصالحهم المصلمة بين الحاكم والفئة المتدينة من المجتمع؛ ليثبتوا الحاجة إليهم في التصدي لتيار الغلو والتشدد، وليمرروا كثيرا من أفكارهم بحجة تجفيف منابع الإرهاب والغلو. وقد يكون أثر هؤلاء بغير قصد، ولكن أساليب الطرح، وطرق العلاج لبعض القضايا تؤدي إلى نتائج عكسية، من إثارة المشاعر، وتهيئة البيئة لترعرع الغلو وانتشاره. كما أن حملة هذه الأفكار - في الجملة - مستعجلون في تحديث المجتمعات الإسلامية وفق الرؤية الغربية، وبغض النظر عن ردة الأفعال المتوقعة، أو السليات الناتجة عن القفزات الحضارية، التي لا تتحملها الشعوب في العادة، يقول الأخصائي الاجتماعي الدكتور مصلح الصالح: (يرى عدد من الباحثين أن التحديث تتبعه عدة تغيرات مستمرة في جميع المجالات الأساسية للمجتمع، وهذا يعني بالضرورة التفكك والاضطراب، هذا بالإضافة إلى النمو المستمر للمشكلات الاجتماعية، والانقسامات

١. انظر: تاريخ الطبري (١٩٤/٥) والعواصم من القواصم، ص: ١١، ومقدمته لمحب الدين الخطيب ص: ٤.

٢. سورة البقرة، الآية: ٩.

والصراعات بين الجماعات المختلفة، وحركات الاحتجاج، فسوء التنظيم والاضطراب يشكلان جزءاً رئيساً من التحديث^(١).

خامساً - حداثة السن:

إن الشباب بما فيهم من حيوية، وعواطف جياشة، وسرعة انفعال، ورغبة في التجديد، وجهل بمكر الأعداء، قد تستهويهم أفكار الغلاة، ويخيل إليهم أن الأفكار المتشجعة، والحدة في التعامل مع المخالف، واستخدام القوة في الإصلاح، هي الكفيلة بتغيير واقع لا يرضيهم، وتعجيل صبح مشرق، يتطلع إليه الشباب في واقع أمتهم. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم - إلى خطورة حداثة السن، مع ضحالة العلم، إذا شعر صاحبها أنه حمل مسؤولية الإصلاح، وذلك في قوله - صلى الله عليه وسلم - "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم"^(٢).

وهذا الحديث دليل على أنه لا يكفي حسن القول، بل لا بد من حسن ثماره وحسن الفعل، ويؤكد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم - "سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسئون الفعل... يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء"^(٣)؛ وإنني أناشد كل طالب حق، يظن أن لا بناء إلا بعد هدم آخر معقل لأهل السنة والجماعة، أن يتدبر هذه الجمل الثلاث الواردة في هذين الحديثين:

١- "يقولون من خير قول البرية".

٢- "قوم يحسنون القيل، ويسئون الفعل".

٣- "يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء".

إن هذه الجمل تبين ضرورة الرجوع إلى علماء ربانيين، سلّموا من الأهواء، فهم القادرون على تمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، خاصة في زمن الفتن واشتداد المحن، ومن أبعد عنهم سوف يغتر بحسن القول، ومهارة الدعاية بالدعوة إلى كتاب

١. ظاهرة الإرهاب المعاصر، ص: ٤٩.

٢. رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ح(١١٥)/(٤٩/٥).

٣. رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في قتال الخوارج، ح(٤٧٦٥)/(٢٤٣/٤) و صححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير، ح(٣٦٦٨)/(٢/٦٨٤).

الله، والتباكي على دينه ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١).

سادسا - مصاحبة الغلاة والاطلاع على آثارهم:

من المتقرر بدهشة أن الطبع سراق، فالإنسان يتأثر بمن يجالس ويصاحب، وبما يسمع ويرى، وقد أكد النبي - صلى الله عليه وسلم - على تأثر المرء بأصحابه في قوله: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" (٢).

والمرء: (موسوم بسماء من قارب، ومنسوب إلى أفاعيل من صاحب... قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : "الصاحب مناسب" وقال عبد الله بن مسعود: "ما من شيء أدل على شيء، ولا الدخان على النار، من الصاحب على الصاحب") (٣).

وقد جاء التحذير من مجالسة أي مبطل في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤).

وعلى هذا سار سلف هذه الأمة، من التحذير من مجالسة الغلاة وأهل الأهواء قال أبو قلابة الجرمي التابعي: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون) (٥)، وقال الإمام البغوي: (وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة، على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم) (٦).

وقال الإمام الشوكاني: (ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها، علم أن مجالسة أهل البدع المضلة، فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب

١. سورة الرعد، الآية: ١٧.

٢. رواه أبو داود، كتاب الأدب، ح (٤٨٣٣) (٢٥٩/٤) والترمذي، كتاب الزهد، ح (٢٣٧٨) (٥٨٩/٤) و صححه، وكذلك الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير، ح (٣٥٤٥) (٦٦٤/٨).

٣. أدب الدنيا والدين، ص: ٢٦٧.

٤. سورة الأعراف، الآية: ٦٨.

٥. السنة، تأليف: عبد الله بن أحمد بن حنبل، ص: ٢٤.

٦. شرح السنة (١٩٤/٨).

والسنة. فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقذ في قلبه ما يصعب علاجه، ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقداً أنه الحق، وهو من أبطل الباطل، وأنكر المنكر^(١).

وقراءة كتب الغلاة ومقالاتهم، وما تسطره أقلامهم، لا يقل خطراً عن مجالستهم وسماع كلامهم. قال ابن مفلح المقدسي - رحمه الله -: (ويحرم النظر فيما يخشى منه الضلال، والوقوع في الشك والشبه، ونص الإمام أحمد - رحمه الله ورضي عنه - على المنع من النظر في كتب أهل الكلام، والبدع المضلة، وقراءتها وروايتها)^(٢).

هذه أبرز أسباب الغلو العامة - في نظري - وثمت أسباب خاصة تتعلق بطبيعة الشخص وظروفه، والبيئة المحيطة به، وطريقة تربيته، والأزمات التي مرت به. ثم إن لوسوسة الشيطان أثراً لا ينكر، إذ إن الغلو كالوسواس القهري، ظاهره زيادة عمل صالح، وحقيقته وحي شيطان، وتسلب عدو، وافق هوى نفس، أو طمع، أو غضب للنفس، أو انتصار للقوم أو الجماعة.

وفي خاتمة هذا المبحث تجدر الإشارة إلى سبب رئيس لانتشار الغلو في هذا العصر، وهو تسلط بعض الأنظمة السياسية، واتباعها سياسة القمع والتعذيب لكل من خالفها، مما ولد ردة فعل لا يجوز تجاهلها، أو الاستهانة بها، كما أن هذه الأنظمة جففت منابع العلم الشرعي، وأفسدت مناهجه الدراسية، مما هيأ بيئة خصبة لترعرع الغلو وانتشاره؛ إذ هو مقترن بالجهل، واندراس العلم.

* * *

١. فتح القدير (١/ ٥٤٣).

٢. الآداب الشرعية (١/ ١٩٩).

المبحث الثالث

آثار الغلو

إن المتتبع لآثار الغلو وأضراره وأوضاره عبر تاريخ الأمة الإسلامية الطويل من افتراق وتكفير وجدل، وانشغال عن العدو، وتعويق لمسيرة الفتوح، وصد عن الدعوة إلى الله واستباحة دماء، وإفساد دنيا - ليجزم أن الأمة لم تصب بأشنع منه.

ويعظم الضرر، ويتفاقم الفساد، إن قاد الغلو إلى خروج على السلطان، قال الإمام ابن القيم: (ومن تأمل ما جرى للإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر)^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير... فلا أقاموا ديناً، ولا أبقوا دنيا)^(٢).

ونظراً إلى أن أضرار الغلو تلحق الدين والدنيا، والنفس والمجتمع، في الحاضر والمستقبل، فإنه يصعب حصرها، وسأكتفي بذكر أبرزها:

أولاً - إفساد الدين:

الغلو ضلال عن الطريق المستقيم، ومعوّل هادم لملل الأنبياء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَنْ سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾^(٣).

ومن يطلع على تاريخ الأديان، وعلى مصير غلاة هذه الأمة، يتبين له أن الغلو سبب لتحريف الأديان وتغييرها، بل إن الأمر قد يؤول إلى أن لا يبقى معهم من الدين إلا اسمه كما نراه في الديانات السابقة، وفي غلاة هذه الأمة، قال شيخ الإسلام: (المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق من الإسلام والسنة، حتى يدعي السنة من ليس من أهلها، بل قد يمرق منها، وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه)^(٤).

١. إعلام الموقعين (١٥/٣).

٢. منهاج السنة (٥٢٧/٤).

٣. سورة المائدة، الآية: (٧٧).

٤. مجموع الفتاوى (٣٨٣/٣).

وقال ابن الوزير اليماني بعد أن ذكر أن بعض المبتدعة لا يعفى عنهم في الآخرة^(١): (والوجه فيه أن الله تعالى أقام عليهم الحجة، وعلم منهم التعمد - ولو في بعض الأوقات - إما في الابتداء ثم عاقبهم وسلبهم الطاقة، كقوله ﷺ: **كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ^(٢)، وإما في أثناء المناظرة والنظر، يدل ذلك قوله تعالى: **وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا إِلَهُكَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ** ^(٣) (١٣) (٤).

ويؤكد هذا قول النبي - صلى الله عليه وسلم - "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه"^(٥)، قال الشاطبي: (ويشهد له الواقع، فإنه قلما تجد صاحب بدعة ارتضاها لنفسه، يخرج عنها، أو يتوب منها، بل هو يزداد بضلالته بصيرة)^(٦)، ومن فساد الدين الذي لا يكاد يسلم منه من ابتلي بالعلو، ولا سيما من تصدر منهم، أن هوأه يحمله على تعسف الأدلة، واجتزاز النصوص؛ لتوافق معتقده وهوى جماعته يقول الإمام الشاطبي: (وكذلك الأمر في كل مسألة فيها الهوى أولا، ثم يطلب لها مخرجاً من كلام العلماء، أو أدلة الشرع، وكلام العرب أبداً لا تساعه وتصرفه [احتمالاته كثيرة]^(٧)، لكن يعلم الراسخون المراد منه من أوله وآخره وفحواه... فمن لا يعتبره من أوله وآخره ويعتبر ما ابتدأ عليه، زلّ في فهمه، وهو شأن من يأخذ الأدلة من أطراف العبارة الشرعية ولا ينظر بعضها ببعض، فيوشك أن يزل، وليس هذا شأن الراسخين في العلم، وإنما شأن من استعجل؛ طلباً للمخرج في دعواه)^(٨).

ثانياً - التكفير:

العلو يستفز صاحبه، ويحمله على مضادة من خالفه ومضارته، وإلزامه بمعتقدده، ولذلك يتسرع في تكفيره، والحكم عليه بالخروج من الملة، والمروق من الدين، ليبرر لنفسه جواز قتاله، واستباحة دمه وماله.

١. يعتي لا يعذرون بالجهل، أما عفو الله عن عذابهم فهم من جملة العصاة الواعين تحت مشيئة الله.
٢. سورة الأنعام، الآية: ١١٠.
٣. سورة آل عمران، الآية: ١٩.
٤. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القلسم (١٩٩/١).
٥. رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر... ج (١٨٤) (٢٨٨/٩).
٦. الاعتصم (٢١٧/٢).
٧. في المرجع: واحتمالاتها كثيرة، ولعل الصواب ما أثبتته إذ الطبعة التي بين يدي كثيرة الغلط.
٨. الاعتصم (٢٢٢/١).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله -: (بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه، وهو الموافق للكتاب والسنة، ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين، فليس كل من أخطأ يكون كافراً، ولا فاسقاً، بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان)^(١).

وقال - رحمه الله -: (حال أهل البدع يبتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم فيها وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، فيتبعون الحق ويرحمون الخلق)^(٢).

ثالثاً - التنازع والافتراق:

من مقاصد الشريعة الاتحاد والاتفاق، والحذر من الافتراق، وقد أمر الله بالجماعة والإتلاف، ونهى عن البدعة والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٣) وقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٤).

ومن يسبر غور مآلات الغلو، وعاقبة الغلاة، يجد أن الغلوي يقود إلى الافتراق من عدة جهات منها:

١- أن الغلو في حد ذاته مفارقة لجماعة المسلمين، وتنكب عن منهج أهل السنة والجماعة، كيف لا، وهو يقود إلى تضليلهم أو تكفيرهم، ثم قتالهم واستباحة دمائهم.

٢- أن الغلو المفرط يؤدي إلى الخروج على الحاكم المسلم، مع ما يترتب على ذلك من فساد وفرقة.

٣- أن الغلو هو المدخل الرئيس لكيد الكائدين من أعداء الإسلام، بل إن رؤوس الافتراق ركبوا مطية الغلو، وكانوا ممن يسعى لهدم الإسلام^(٥).

١. مجموع الفتاوى (٢٠/٣).

٢. المصدر السابق (٢٧٩/٣).

٣. سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

٤. سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

٥. انظر: الافتراق، مفهومه وأسبابه... تأليف د. ناصر العقل (ص: ٣٤).

٤ - لو تأملنا نشوء الفرق الإسلامية، والنحل المنتسبة له، لتبين لنا أن أعظم سبب لذلك هو الغلو في جماعة، واعتبارها جماعة الحق، وما سواها فرق ضلال، وهذا يقود إلى التنازع والجدال، ثم التكفير والاقتيال^(١).

٥ - الغلو يحمل صاحبه على الاعتداء والظلم لمن خالفه، سواء باللسان أو باليد، وهذا مدعاة تعصب، ثم تفرق وتحزب.

رابعاً - استباحة الدماء:

لقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن مآل الغلاة بقوله: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"^(٢). وواقع الحال يشهد لذلك، فقد نجم عن الغلو الجرأة على الاقتتال، والميل إلى استباحة الدم الحرام، وإجازة التفجيرات، مع ما تحدثه من قتل عشوائى، وإتلاف أموال، وترويع وإفساد، وزعزعة أمن، مع كثرة النصوص الدالة على شناعة قتل المسلم، كقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٣) وخطورة الإفساد في الأرض كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾^(٤) وخطورة قتل الكافر المعاهد الوارد في قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "من قتل معاهداً مريح رائحة الجنة"^(٥).

كما أن الغلو يحمل صاحبه على عمارة بالعهد لكثير من المعاهدين الذين دخلوا ديار الإسلام بعقد وذمة، قال شيخ الإسلام: (الأمان يجوز عقده لكل كافر، ويعقده كل مسلم)^(٦)، وقال موفق الدين ابن قدامة: (الأمان إذا أعطي أهل الحرب حرّم قتلهم ومالههم والتعرض لهم، ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار، ذكر كان أو أنثى، حراً كان أو عبداً)^(٧)، ثم استدل بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ذمة المسلمين واحدة

١. انظر: مشكلة الغلو في الدين (٢/٦٧٥).

٢. رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وأما عاد... ح(١٤٦)(٤/٢٧٤).

٣. سورة النساء، الآية: ٢٩٣.

٤. سورة الأعراف، الآية: ٧٥.

٥. رواه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً، ح(٨)(٤/٢١٧).

٦. الصارم المسلول (ص: ٩٥).

٧. المغني (١٣/٧٥).

يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لغنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^١.

خامساً - الصد عن سبيل الله:

لا يخفى على بصير أن الغلو عدو للإسلام، وسبب للصد عنه، ويتجلى ذلك في الأمور التالية:

١- تنفير الكفار من الإسلام، وإعطائهم صورة كالحة عنه.
٢- عزل عامة المسلمين، التي تنشده اليسر، وتكره العسر، عن الفئة المتدينة، وتنفيرها من الإسلام كنظام للحياة، إذ إن الغلاة يتبنون تضيق ما وسعه الله، وتعسير ما يسره.

كما أن جهلة العامة - وهم كثير - يعزلون أولادهم عن المستقيمين الملتزمين بدين الله خوفاً من الغلاة، فتقع الذرية فريسة الشهوات، وفي أيدي المتربصين بهم من مروجي المخدرات والمسكرات.

٣- تشكيك العامة بتدينها، وإشعارها بتقصيرها، عند مقارنة حالهم بحال هؤلاء الغلاة، وهذا يقود إلى فساد عريض.

٤- تمكين العدو المتربص من ضرب الإسلام، والتضييق على أهله، وإيذاء الدعاة إليه وإغلاق جمعيات الإغاثة، ومدارس تعليم القرآن، بحجة القضاء على الإرهاب.

٥- إشغال علماء الإسلام والدعاة إلى الله، بتبصير الناس بحقيقة الغلو، والرد على الغلاة، وهذا على حساب تعليم الناس أمور دينهم، ودعوة الكفار إلى الإسلام، والمبتدعين إلى السنة، وأرباب الشهوات إلى التوبة.

سادساً - الطعن في علماء الأمة:

نبز العلماء، والطعن فيهم، ثمرة مرة من ثمار الغلو المرعبة المزعجة، فقد تواطأ الغلاة على إسقاطهم، وزعزعة ثقة الناس فيهم، فتارة يوصفون بالكفر والردة، أو الفسق والفجور، وتارة يلمزون بالجب، أو حب الدنيا، أو الفتنة بالمال، وعلى أحسن الأحوال هم عند الغلاة لا يفقهون الواقع، ولا يعرفون ما يدور حولهم.

١. رواه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر، ح(٢١/٤) (٢١٧).

وعداء الغلاة للعلماء الربانيين عميق ومتأصل، فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: مر سعد بن أبي وقاص برجل من الخوارج فقال الخارجي: هذا من أئمة الكفر! فقال سعد: كذبت! بل أنا قاتلت أئمة الكفر^(١).

وقال عمر بن النضر: (سئل عمرو بن عبيد^(٢) يوماً عن شيء - وأنا عنده - فأجاب فيه، فقلت له: ليس هكذا يقول أصحابنا! فقال: ومن أصحابك لا أبا لك؟! قلت: أيوب ويونس وابن عون والتميمي^(٣)).

قال: أولئك أنجاس أرجاس أموات غير أحياء^(٤)!!

وفال الإمام ابن عليّة: (حدثني اليسع. قال: تكلم واصل (يعني ابن عطاء) يوماً فقال عمرو ابن عبيد: ألا تسمعون؟! ما كلام الحسن وابن سيرين عند ما تسمعون إلا خرقة حيضة ملقاة)^(٥).

فإن قيل: ما سبب تسلط الغلاة على علماء الأمة، مع أن خلا فهم الحقيقي مع أهل السياسة والإمارة؟!

والجواب: إن العلماء يعرفون حقيقة الغلو، ويكشفون شبهات الغلاة، ويرفعون اللثام الرقيق الذي يحجب التزديد في الدين، ويستتر قبح البدعة، ويسقطون القناع الذي يلبسه هؤلاء، من التمسح بالدين، والتباكي عليه، أو على بعض رموزه، والظهور بمظهر الزهد والتقوى^(٦)، وحينئذ تنكشف الحقيقة للناس عامة، وللشباب خاصة الذين هم هدف الغلاة.

والجدير بالذكر أن تأريخ الغلو والغلاة موغل في الحط من شأن حماة الشريعة وحملة ميراث النبوة، ومن شواهد ذلك تكفير الخوارج والرافضة لجمهور الصحابة،

١. تفسير القرآن العظيم (٢/٣٥٢).

٢. رأس المعتزلة الغلاة وأولهم، العابد الزاهد، وقد اغتر بزهده أفاضل. انظر سير أعلام النبلاء (٦/١٠٤).

٣. وجميع هؤلاء من علماء الإسلام الأعلام، الذين حفظ الله بهم دينه وسنة نبيه.

٤. الاعتصم (١/٢٣٢).

٥. المصدر السابق، الصفحة التالية.

٦. قال الأنبي لما ذكر إرجاب الخليفة أبي جعفر المنصور بعمر بن عبيد المعتزلي الزاهد: (اغتر بزهده وإخلاصه، وغفل عن بدعته). سير أعلام النبلاء (٦/١٠٥).

والهدف لا يخفى على لبيب، إذ بإسقاط العلماء، يخلو الجو لهؤلاء، ويتهدى لباطلهم الرواج والانتشار، ويتحطم الحاجز الذي يفصل بين الحق والباطل، والسنة والبدعة. إن جراح أهل السنة والجماعة في هذا العصر غائرة عميقة، ومن أعظمها نكايته وأشدها أثرا إسقاط المرجعية العلمية لهم، التي تعصمهم بإذن الله من الابتداع، وتحميهم من الافتراق.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج و الروافض، الذين يكفرون أئمة المسلمين لما يعتقدون أنهم أخطؤوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأه يكفر ولا يفسق، بل ولا يؤثم...)

ثم قال: (ومن كفرهم بذلك استحق العقوبة الغليظة التي تزره وأمثاله عن تكفير المسلمين) ثم قال: (بل دفع التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطؤوا هو من أحق الأغراض الشرعية، حتى لو فرض أن دفع التكفير عن القائل [للكفر] يعتقد أنه ليس بكافر حملة له ونصرا لأخيه المسلم - لكان هذا غرضا شرعيا حسنا، وهو إذا اجتهد في ذلك فأصاب فله أجران...)(٢).

سابعا - زعزعة الأمن:

يحرص الغلاة على مدار التأريخ لإسقاط الإمارة القائمة، ليتم لهم بناء جديد يتوافق مع أهوائهم وشبهاتهم، ولذا كان من مقاصدهم زعزعة الأمن، ونشر الذعر بين الناس والخروج على السلطان، والمبالغة والتهويل في ذكر المفاسد، ونشر مساوئ القائلين على أمور الناس، من أمراء وعلماء ووزراء، لا بقصد الإصلاح، فإن المصلح لا يكذب، بل المراد تهيج الغوغاء على سلطانهم، وحملهم على التمرد والخروج، مع ما يترتب على

١. زيادة ليتضح المعنى المراد الذي لا يظهر إلا بقراءة السابق لهذا النص مما لم أذكره .

٢. مجموع الفتاوى (١٠٣/٣٥-١٠٣).

ذلك من مفاسد كبيرة، وجرائم خطيرة، وإشغال أجهزة الأمن عن متابعة الجرائم المعتادة.

ثامنا - شؤم الغلو على صاحبه:

إن أول وأعظم من يتأثر بالغلو صاحبه، نقصا في دينه، وفسادا في دنياه، ويظهر ذلك في الوجوه التالية:

١- أن بدعة الغلو - في أغلب صورها - شر من المعاصي الشهوانية، كما قال سفيان الثوري: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها)^(١)، وسبب ذلك أن المبتدع، ولاسيما الغالي يعتقد أنه على هدى ورشد ويشهد لذلك قول الله تعالى فيمن شاق الرسول، واتبع غير سبيل المؤمنين: ﴿تَوَلَّوْا مَا تَوَلَّوْا﴾^(٢) قال ابن كثير: (أي إذا سلك هذا الطريق، جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره، ونزينها له)^(٣)، وقال القاسمي: (أي نجعله والياً مرجحاً ما تولاه من المشاققة، ومتابعة غير سبيلهم)^(٤).

والنصوص الدالة على مروق الخوارج من الدين، شاهدة على خطورة الابتداع والغلو مهما أكثر صاحبها من العبادة، واشتط في الدعوة إلى تحكيم القرآن^(٥).

قال ابن القيم: (والفتنة توعان: فتنة الشبهات، وهي أعظمها، فتنة الشهوات... ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سبي القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه)^(٦).

٢- حرمان النفس من العلم الصحيح، ويوضح ذلك العلامة صالح الفوزان بقوله: (لأننا إذا رجعنا إلى أفهامنا، دون أخذٍ للعلم من مصادره، وإنما نعتمد على قراءتنا وفهمنا، فإن الأفهام تختلف، والإدراكات تختلف، وبالتالي يكثر الاختلاف في هذه الأمور

١. شرح السنة للبغوي (١/ ١٨٨).

٢. سورة النساء، الآية: ١١٥.

٣. تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٦٨).

٤. مجلس التأويل (٥/ ١٥٤).

٥. انظر: مشكلة الغلو في الدين (١/ ٥٢).

٦. إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥).

المهمة، وديننا جاءنا بالاجتماع والاتلاف وعدم الفرقة، والموالة لأهل الإيمان والمعداة للكفار، فهذا لا يتم إلا بتلقي أمر الدين من مصادرها، ومن علمائها، الذين حملوها عن قبلهم، وتدارسوها بالسند، وبلغوها لمن بعدهم، هذا هو طريق العلم الصحيح في العقيدة وفي غيرها^(١).

٢- تكليف النفس مالا تطيق، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - "عليكم من العمل ما تطيقون"^(٢).

٤- إلقاء النفس في التهلكة بغير إذن من الشرع، أو تعريضها لمخاطر أو مشاق وعدم قبول رخصة الله فيها، قال ابن جرير بعد أن ذكر المعاني التي تندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣): (فإذا كانت هذه المعاني كلها احتملها قوله "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" ولم يكن الله - عز وجل - خص منها شيئاً دون شيء، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، أو الاستسلام للهلكة، وهي العذاب)^(٤).

٥- التفريط في حقوق واجبة من رعاية أهل، وتربية ولد، وصلة رحم، وحقوق جار؛ وذلك أن طاقة الإنسان محدودة، فتُسْتَهِلَك فيما غلا فيه، ولذلك نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن عمرو عن المبالغة في العبادة وقراءة القرآن، وقال له: "إنك لتصوم الدهر، وتقوم الليل؟"

فقلت: نعم، قال: "إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين"^(٥)، ونقعت له النفس^(٦)، لا صام من صام الدهر^(٧).

٦- الإقامة في بلاد الكفار، وتعريض النفس والأولاد لفتن أكبر مما فر منها.

١. الإجابات المهمة في المشاكل الملزمة، ص: ١٠٣.

٢. رواه مسلم، صلاة المسافرين، فضيلة العمل الدائم، ح(٧٨٢/٨) (٥٤٠/٨).

٣. سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

٤. تفسير الطبري (٥٩٣/٣).

٥. أي: غارت ودخلت في موضعها. النهاية في غريب الأثر (هجم) (٢٤٧/٥).

٦. أي: أعييت وكلت. المصدر السابق (نقه) (١٠٠/٥).

٧. رواه البخاري، كتاب الصيام، باب صوم داود، ح(٨٧/٣) (٨٩/٣).

٧ - الانتكاسة بعد الهدى، والنكوص على العقبين، وهذا مشاهد، قال ابن المنير:
(فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع)^(١).
وعلق الحافظ ابن حجر على قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "إن هذا الدين
يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"^(٢) فقال: (المعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية
ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب)^(٣).
هذه أبرز آثار الغلو وأضراره، مما تسمح به طبيعة هذا البحث المختصر، والقضية
تحتاج إلى دراسات موسعة، من تخصصات مختلفة^(٤).

* * *

-
١. فتح الباري (٩٤/١).
 ٢. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج(٣٨)(٢٨/١).
 ٣. فتح الباري (٩٤/١).
 ٤. للاستزادة انظر: مشكلة الغلو في الدين (٥٢/١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة
المجتابة، دلنا على النجاة، وخرجنا به من الظلمات.
وبعد:

ففي خاتمة هذا البحث المختصر يحسن ذكر أبرز النتائج ثم التعقيب بذكر
التوصيات

أولا - نتائج البحث:

١- تبين من خلال هذا البحث أن الغلو على ضوء الكتاب والسنة يعني تجاوز شرع
الله، وتعدي حدوده، وعدم الاقتصار على هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبيته
على ذلك لا يجوز الخلط بينه وبين المعاني الإسلامية الثابتة، كالزهد، والورع والبعد عن
المتشابه، وكالغضب لله، والغيرة على محارمه.

٢- الغلو من البدع العظام التي تقود إلى المروق من الدين، وتنكب الصراط
المستقيم، ثم إن من العسير التوبة منه، والتخلص من أوضاره.

٣- دين الإسلام وسط بين الأديان، وأهل السنة والجماعة وسط بين فرق
الإسلام، وكل من جاوز الوسط وقع في الذم.

٤- أكثر مظاهر الغلو إحسان في القول، وإساءة في العمل، ومبالغة في جلب
وتفريط في جوانب، واندفاع وراء عواطف، مع عدم مراعاة سنن الله الشرعية
والكونية، ومقتضى الحكمة والعقل.

٥- الغلاة يسيئون للإسلام، ويشوهون صورته، ويعوقون مسيرة دعوته ويمكنون
العدو من ضربه، كما أنهم يفسدون على العامة دينهم، ويحملونهم على عزل أولاهم
عن الفئة المتدينة خوفاً عليهم من الغلو، والولوج في بوابة التكفير والتفجير.

٦- مفسد الخروج على السلطان أكثر من مصلحه، وأضراره أكثر من منافعه،
وقد اذقت الأمة ويلات الخروج على السلاطين، كالخروج على عثمان - رضي الله عنه -
ثم مقتله، وخروج الحسين بن علي - رضي الله عنهما - ثم مقتله، وخروج أهل المدينة
على يزيد ابن معاوية، ثم مقتل كثير منهم، وخروج ابن الأشعث وجماعة من طلاب

العلم على الحجاج، ومقتل جلاهم، وسجن الباقين، أو تشريدتهم واختفائهم حتى وفاة الحجاج، وكذلك الفتن المتكررة في هذا العصر، التي لم تنصر ديناً، ولم تبق ديناً.

٧ - اللطائف المخالفة لأهل السنة دور عظيم في إذكاء روح الغلولحمل الشباب على الخروج على سلطانهم، والتنكر لعلمائهم، ومن ثم يسهل ضربهم، والقضاء عليهم، وإضعاف دور أهل السنة والجماعة، والتمكين للبدع الغالية، وعبادة القبور.

٨ - الغلاة يجهلون قاعدة عظيمة من قواعد أهل السنة والجماعة، وهي أنه لا تلازم بين فعل الكفر وقوله، وبين كفر فاعله وقائله المعين، فقديم المسلم في الكفر، ولا يحكم بكفره حتى تقام عليه الحجة، وتحقق فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، كما أنه لا يقام عليه حد الردة حتى يستتاب.

ثانياً - التوصيات:

- ١ - تكثيف التوعية الدينية، وربط الأمة بالكتاب والسنة، وبمنهج أهل السنة والجماعة، وحمايتها من التيارات الوافدة، والدعوات المضللة.
- ٢ - التنبيه عند الرد على الغلاة إلى الفارق الكبير بين الغلو وبين طلب الكمال في الإيمان والعبادات، والبعد عن المشتبهات.
- ٣ - إن إنكار ما هو ثابت في الدين أو الاستهزاء به، من أعظم مداخل دعاة الغلو والتباكي على الإسلام، والتنادي للدفاع عنه، وإثارة الحمية الدينية، ثم جر الناس إلى باطلهم من حيث لا يشعرون.
- ٤ - مناقشة أرباب الفكر الغالي مناقشة علمية فيها بيان الحق، ورحمة الخلق وإزالة الشبهة، بعيداً عن التهويل، أو مجارة الغلو بغلو، والتكفير بتكفير، وليكن رائتنا منهج الخليفة الراشد علي - رضي الله عنه - الذي حرص على توضيح الحق لمن قائله من أهل النهر، وإرسال من يزيل شبهتهم، ولما انتصر عليهم، وسئل عنهم أهم مشركون؟! فقال: من الشرك فروا، قيل: فمنافقون هم؟! قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل له: فما هم؟! قال: "قوم بغوا علينا"^(١).

١. المصنف لابن أبي شيبة، كتاب الجمل، باب ما ذكر في الخوارج (٣٣٢/١٥).

٥ - ضرب الأيدي الخفية التي تغذي الغلو، وتقلب الحقائق، وترغب في اضطراب البلاد، واقتراق العباد.

٦ - تقوية المرجعية العلمية لأهل السنة والجماعة من كبار علماء الأمة، ورفع شأنهم، والاعتداد بأقوالهم، وحمايتهم من كل ما يمس سمعتهم، حتى يكونوا حصناً واقياً للأمة - بإذن الله - من التفرق والابتداع.

٧ - تذكير الشباب بأعداء هذه البلاد، وحرصهم على خلخلة الأمن، وزعزعة ثقة الناس بولائهم وعلمائهم، طمعاً في تقوية طوائفهم، ونشر مذاهبهم، وبسط نفوذهم، والنكاية بأهل السنة، وطمس معالم التوحيد.

٨ - المبادرة بتنفيذ مشروع علمي متكامل، ينمي الولاء للدعوة السلفية، ويقطع الخط على أهل الغلو والبدع، وأعداء السلفية المباركة، ويحمي البلاد من التصدع ويتمثل هذا المشروع فيما يأتي:

أ - اختيار نخبة من أذكى الشباب المتدين، ويعدون إعداداً علمياً وأخلاقياً ودعموا حتى يتأهلوا للتعليم والإفتاء والقضاء في آن واحد.

ب - يكون الاختيار وفق شروط معينة، وممن يظهر عليهم الولاء للدعوة السلفية والإخلاص في ذلك، وبغض البدعة وأهلها، مع اتزان الشخصية وجاذبيتها، وبعداها عن الغرور، والإعجاب بالنفس.

ج - يعين في كل مدينة واحداً من هؤلاء - على الأقل - ويوكل إليه:

١ - القضاء.

٢ - إمامة الجامع الكبير فيها.

٣ - التعليم في هذا الجامع وفق آلية محدودة.

٤ - إفتاء أهل هذه المدينة، وفق مدرسة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.

٥ - إلقاء محاضرات، وإقامة ندوات، تغرس الانتماء لأهل السنة والجماعة، وتبين حقيقة السلفية، وتحذر من أعدائها الذين هم أعداء الدولة، وأعداء البلاد.

وينبغي الاستفادة من الأخطاء السابقة، حيث نافع عن الدعوة السلفية أناس يجهلون طريقة تأليف القلوب، ويسعون إلى حمل الناس على كل الحق من غير تمهيد

أو تدرج. ويتعمدون تصيد الأخطاء، مع مبالغة في الحط من شأن المخالف، وانشغال بالجزئيات عن الكليات، مما أدى إلى نتائج عكسية من التنفير عن الدعوة السلفية، واتجاه الشباب إلى تلقي العلم من مصادر أخرى، لا يخفى ما فيها من غثائية أو بدعة.

د - إنشاء أمانة لهذا المشروع، ترتبط بهيئة كبار العلماء، تضع الخطط، وتنفذ العمل، وترعى الأفراد، وتمدهم بما يحتاجون إليه مما يعينهم على أداء مهمتهم، وينبغي أن لا يكون أهل الباطل أكثر جلدا، وأقدر على التنظيم، وأكثر حماسا في نشر باطلهم، والله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^١.

إنني على يقين بأن هذا المشروع العلمي سيكون عاملا كبيرا في اتحاد الكلمة، والولاء لولاة الأمور، وتحقيق مصالح كبار، قد لا نتفطن لها إلا بعد فوات الأوان، وعندما نكتشف الغزو الهائل لأعداء السنة، وقدرتهم على إيغار الصدور، والصد عن الدعوة السلفية، وعن منهج النبوة.

هذا ما تيسر جمعه في هذا البحث المختصر، وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه، ونافعا لعباده، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

١. سورة النساء، الآية: ١٠٤.

ثبت المراجع

- ١- الإتيقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، طبعة علم ١٤٢٦هـ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف / المدينة المنورة.
- ٢- الإجابات المهمة في المشاكل الملزمة، للشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان، إهداء: محمد الحصين، ط ١٤٢٥هـ.
- ٣- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: علي البجاوي، طبعة علم ١٣٩٤هـ، الناشر: دار الفكر / بيروت.
- ٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي، الناشر: مكتبة ابن تيمية / القاهرة.
- ٥- الإرهاب آفة العصر، د. عقيل العقيل، ط ١٤٢٥هـ.
- ٦- الإرهاب دواؤه وعلاجه، د. محمد الشويعر، ط ١٤٢٥هـ.
- ٧- الإرهاب يسيطر على العالم، د. خالد عبد الكبري، نشر: دار الفكر / بيروت، <http://www.wata.cc/forums/showthread.php?1567>
- ٨- إرواء الغليل في تخريج أحاديث نارا لسبيل، تأليف: محمدنا صرا لدين الألباني، ط ١٤٠٥هـ، الناشر: المكتب الإسلامي / بيروت.
- ٩- الاعتصم لأبي إسحاق الشاطبي، ط ١٣٣٢هـ، المكتبة التجارية الكبرى / مصر.
- ١٠- إلاما الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: عصمرا لدين إلبابطي، الناشر: دار الحديث / القاهرة.
- ١١- إغاة الله فان من مصابدا لشيطان لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة علم ١٣٥٨هـ، دار المعرفة / بيروت.
- ١٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، للشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: دنا صر العقل، ط ١٤١٥هـ، دار المسلم / الرياض.
- ١٣- بزل المجهود في حل أبي داود، لخليل أحمد السهانفوري، دار الكتب العلمية / بيروت.
- ١٤- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: مجمداً بوالفضل إبراهيم، ط ١٤٠٠هـ، دار الفكر.
- ١٥- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر / تونس.

- ١٦- التفجيرات والاغتالات - الأسياب - الأثار - العلاج - مصطفى السليماني، ط١، ١٤٢٥ هـ، دار
الفضيلة / الرياض.
- ١٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط١، ١٤٠٦ هـ، الناشر: دار المعرفة / بيروت.
- ١٨- تريب التهذيب لأحافظ ابن حجر، تحقيق: عبد الوهاب بد اللطيف ط٢، ١٣٩٥ هـ، الناشر: دار
المعرفة / بيروت.
- ١٩- تهذيب التهذيب لأحافظ ابن حجر، تحقيق: مصطفى بد القادر، ط١، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية
/ بيروت.
- ٢٠- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وآخرين، طبعة علم ١٣٨٤ هـ،
الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر
- ٢١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - سليمان بن عبد الله محمد بن عبد الوهاب، ط٣،
علم ١٣٩٧ هـ، المكتب الإسلامي / بيروت.
- ٢٢- تيسير الكريما لرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تأليف: عبد الرحمن السعدي،
تحقيق: عبد الرحمن اللويحي، ط١، ١٤٢١ هـ، مؤسسة الرسالة / بيروت.
- ٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لابن جرير الطبري، تحقيق: محمد محمد
شكر وأحمد محمد شكر، ط٢، الناشر: دار المعارف بمصر، ط٣، ١٣٨٨ هـ، الناشر: شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر.
- ٢٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، ط٢، ١٣٧٢ هـ،
الناشر: دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٢٥- جمهرة اللغة لأبي بكر بن زيد، تحقيق: مزي بعلبي، ط١، ٩٨٧ هـ، دار العلم للملايين /
بيروت.
- ٢٦- حكم الله على الفرق والأحزاب والجماعات، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٢، ١٤١٠ هـ، دار ابن
الجوزي / الدمام.
- ٢٧- الحوادث والأبدع لأبي بكر الطرطوشي، تعليق: علي حسن الحلبي، ط١، ١٤١١ هـ، دار ابن الجوزي /
الدمام.
- ٢٨- الدر المنثور في التفسير بالأمثال، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: بد الله التريكي، ط١، ١٤٢٤ هـ،
مركز هجر للبحوث / القاهرة.

- ٢٩- ر سائل ودرا سات في الأ هواء والاف تراق وال يدع. أد.نا صرالع قل. ط. ١٤٢٣. ٢. دارا لوطن للشعر/الرياض.
- ٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي. طبعة علم ٤٠٨هـ. دار الفكر/ بيروت.
- ٣١- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي ط. ٤٠٧هـ. المكتب الإسلامي/ بيروت.
- ٣٢- السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط. ١٤١٤. هـ. دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٣٣- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: المكتبة التجارية / مكة المكرمة.
- ٣٤- سنن أبي داود، للإمام أبي داود السجستاني، مراجعة و ضبط: محمد محي الدين عبد الحميد، ط. ١. دار الفكر/ بيروت.
- ٣٥- السنن الكبرى للإمام البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر ط. ١٤١٤. هـ. دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٣٦- سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. ١٢٧٢هـ. دار الكتب العلمية/ بيروت.
- ٣٧- شرح السنة لأبي محمد الدارقطني، تحقيق: علي محمد عوض وعادل أحمد مدع بدالموجود، ط. ١٢٠١هـ. دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٣٨- شعب الإيمان للإمام البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، ط. ١٤٢٩. ٢. هـ. دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٣٩- الصحابي في فقه اللغة العربية، لأحمد بن فارس الرازي، تحقيق: د. عمر الطباع، ط. ١٤١٤. هـ. مكتبة المعارف / بيروت.
- ٤٠- إصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة علم ١٤١١هـ. المكتبة العصرية / صيدا.
- ٤١- إصاح تاج اللغة و صحاح العربية، لإسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد مدع بدالغفور ط. ١٤٠٣. هـ. دار العلم للملايين / بيروت.
- ٤٢- صحيح البخاري، ط. ٤٠٦. هـ. عالم الكتب / بيروت.

- ٤٣- صحيح الجامع لصغير وزيدا ته ((الفتح الكبير))، تأليف: محمدنا صرا لدين الألباني، ط١٤٠٦، هـ. المكتب الإسلامي / بيروت.
- ٤٤- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١٩٧٢، هـ. دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٤٥- صحيح مسلم بشرح النووي، ط١٣٤٩، هـ. المكتبة المنصورية / القاهرة.
- ٤٦- ضعيف الجامع لصغير وزيدا ته ((الفتح الكبير))، تأليف: محمدنا صرا لدين الألباني، ط١٣٩٩، هـ. المكتب الإسلامي / بيروت.
- ٤٧- ظاهرة الإرهاب المعاصر: طبيعتها وعواملها واتجاهاتها، د. مصلح الصالح، طبعة علم ١٤٢٣، هـ. الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية / الرياض.
- ٤٨- ظاهرة الغلو في الدين، إعداد: عبود بن علي بن درع، ط١٤١٩، هـ. دار الصميعي للنشر / الرياض.
- ٤٩- ظاهرة الغلو والتكفير، الأصول، والأسباب، والعلاج، د.نا صرا بن عبد الكريم العقيل، دار كنوز شيبيليا للنشر والتوزيع / الرياض.
- ٥٠- العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي، طبعة علم ١٤١٩، هـ. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية.
- ٥١- العواصم والقواصم في الذنب عن سنة أبي القاسم لمحمد بن إبراهيم الوزير اليماني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١٤٠٥، هـ. دار البشير / عمان.
- ٥٢- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، طبعة علم ١٤٠٣، هـ. الناشر: جامعة أم القرى / مكة المكرمة.
- ٥٣- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، لعبد الرحمن اللوح، ط١٤١٢، هـ. مؤسسة الرسالة / بيروت.
- ٥٤- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض.
- ٥٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عبد السلام، ط١٤٢٨، هـ. الناشر: المكتبة العصرية / جدة.
- ٥٦- قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين بن علي الحربي، ط١٤١٧، هـ. دار القاسم / الرياض.
- ٥٧- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفرهيدي، تحقيق: د.م. هدي المخزومي ود.إ. إبراهيم السامرائي، ط١٤٠٨، هـ. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت.

- ٥٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم الزمخشري، طبعة علم ٣٩٢هـ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٥٩- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، تصحيح: نخبة من علماء اللغة، ط٢، الناشر: دار صادر / بيروت.
- ٦٠- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تعليق محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة / بيروت.
- ٦١- محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، ط١، ١٣٧٦هـ، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية / القاهرة.
- ٦٢- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة علم ٤٠٤هـ، الناشر: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- ٦٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٦٤- مدارج السالكين، لأبي بكر ابن قيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٦٥- المستدرک علی الصحیحین لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبني له التلخيص، ط١، ١٤٠٦هـ، هـ.إشراف د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة / بيروت.
- ٦٦- المسند للإمام أحمد بن حنبل، ط٥، ٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي / بيروت.
- ٦٧- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، لعبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط١، ١٩٨٤هـ.
- ٦٨- المصنف لأبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: مختار أحمد النذوي وآخرين، ط١، الناشر: الإدارة لسلفية / بومباي، الهند.
- ٦٩- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي / بيروت.
- ٧٠- معالم التنزيل للإمام البخاري، تحقيق: محمد عبد الله امر وآخرين، ط١، ١٤٠٩هـ، دار طيبة / الرياض.
- ٧١- معجم قاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية / قم.
- ٧٢- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم أنيس وزملائه، بدون تاريخ ولادار نشر.
- ٧٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة / بيروت.

٧٤- مناهل العرفان في علم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: دار إحياء الكتب العربية / القاهرة.

٧٥- مذهب السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦ هـ، طبع و نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض.

٧٦- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشافعي، عناية: عبد الله دراز وآخرين، ط١، ١٤١١ هـ، دار الكتب العلمية / بيروت.

٧٧- موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب، د. سليمان بن عبد الله أبو الخيل، ط١، ١٤٢٤ هـ.

٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، ط١، ١٣٨٢ هـ.

* * *